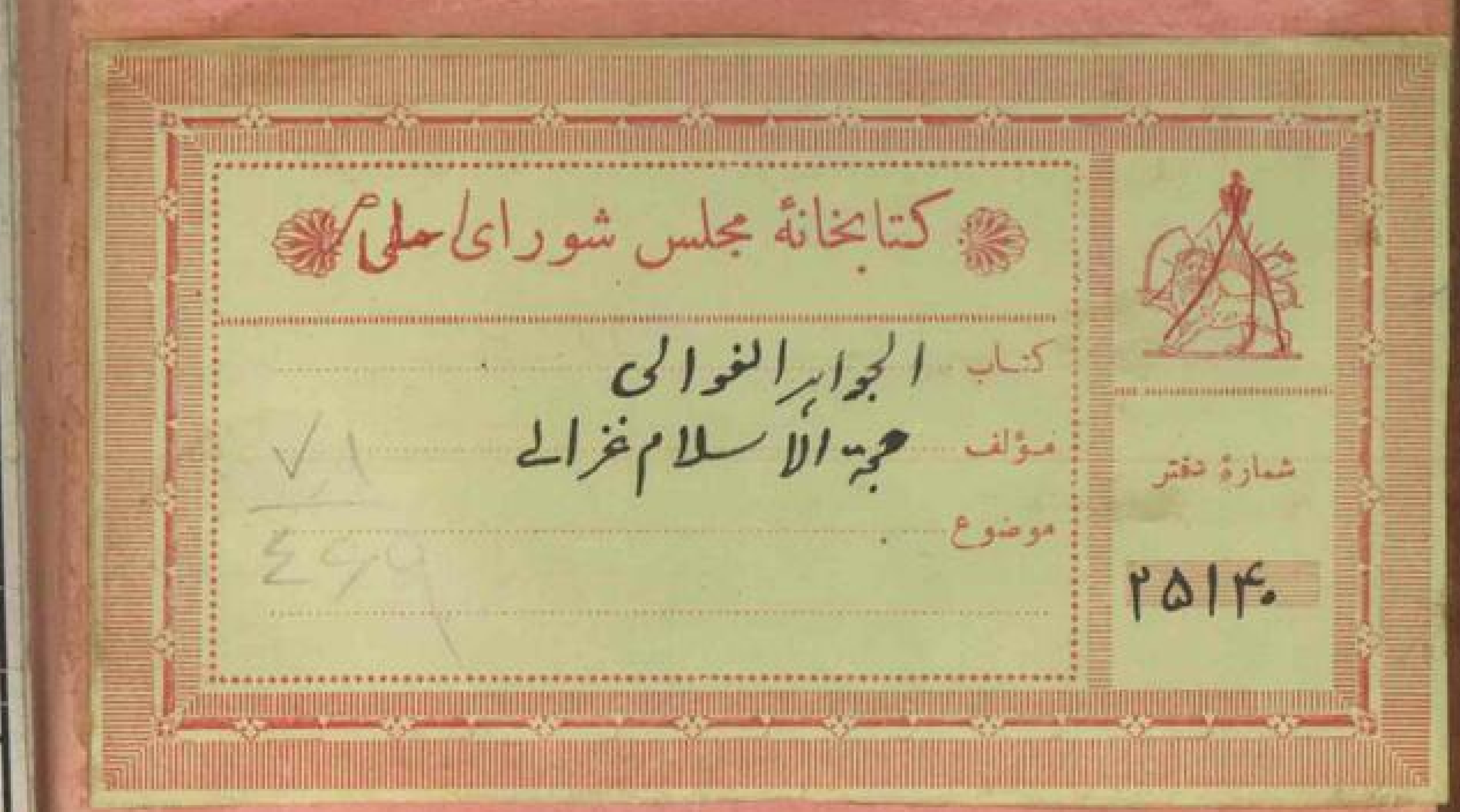
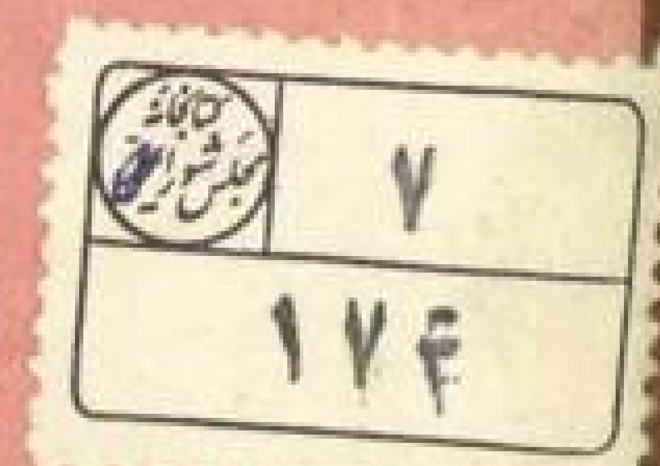



۸۱
کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب الجواهر الغوالی
مؤلف حجة الاسلام غزالی
موضوع
شمارهٔ دفتر
۲۵۱۴۰
۷
۱۷۴

81



کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب الجواهر الغوالی
مؤلف حجة الاسلام غزالی
موضوع
شمارهٔ دفتر
۲۵۱۴۰



۷
۱۷۴

الجواهر الغوالي

من رسائل الامام

حجة الاسلام الغزالى

﴿ تشتمل على سبع رسائل ﴾

وهى

« الادب في الدين » و« أيها الولد »و« فيصل التفرقة »
« القواعد العشرة » و« مشكاة الانوار » و« رسالة الطير»
و « الرسالة الوعظية »

﴿ طبعت على نفقة ناشرها ﴾
﴿ البحاثة المنقب عن الاسفار النفيسة ﴾
محيي الدين صبري الكردي

الطبعة الاولى سنة ١٣٤٣ هـ

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام الغزالى

مصنف هذه الرسائل

رأينا أن نفتتح هـذه المجموعة النافعة بترجمة مصنفها الامام حجة الاسلام أبى حامد محمد بن محمـد بن محمـد الغزالى الطوسى عليه الرحمة ، فنقول :

١ — مولده ومنشأه :

ولد الغزالى فى مدينة «طوس» من مدن خراسان سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) وتوفى والده قبل أن يبلغ سن الرشد ، فنشأ معتمداً على نفسه ، مندفعاً الى طلب العلم والتبحر فيه بدافع الغريزة الفطرية الكامنة فى تلك النفس الكبيرة ، فتلقى مبادىء العربية والفقه في بلده وانتقل الى جرجان فقرأ مبادىء الاصول على أحد أعلامها وعاد الى طوس

٢ — رحلته :

ولم يمكث طويلا في بلدته بعد أوبته من جرجان، فقام برحلته

العلمية التى ارشدته الى العلم الصحيح ، واذاعت شهرته في الخافقين فقصد « نيسابور » حيث لازم امام الحرمين الجوينى مدة انتهت بوفاة الجوينى سنة ٤٧٧ هـ وانتقل الى العراق وقد سبقه اسمه الى تلك الآفاق ، فاتصل بالوزير نظام الملك ، ففوض اليـه تدريس مدرسته « النظامية » ببغداد سنة ٤٨٤ هـ فأقام يبث العلم ويصنف الاسفار مدة أربع سنين أصابه على أثرها مرض اضطره الى مفارقة العراق ، فرحل الى الحجاز حاجاً ثم أتى الشام فأقام في القدس نحو سنتين ، ورحل الى الديار المصرية فنزل بالاسكندرية وعاد بعد ذلك الى مسقط رأسه « طوس » منقطعاً الى العبادة ، فألزمه فخر الملك بن نظام الملك بالتدريس بمدرسته في نيسابور فدرس بهـا مدة قصيرة ، وعاد الى ملازمة بيته بطوس حتى مات سنة ٥٠٥ هـ (١١١١ م) ودفن بمقبرة الطابران بظاهر طوس

٣ — منصفاته

قل أن انتفع الناس بمصنفات أحد من العلماء انتفاعهم بكتب الامام الغزالى وقد ترجم الكثير منها الى اللغات الاجنبية كرسالته «الولدية» المدرجة فى هذه المجموعة فقد ترجمت الى الالمانية باعتناء العلامة فون هامر بورغستال النمساوى، و «الدرة الفاخرة في أحوال الآخرة» ترجمت الى اللغة الافرنسية باعتناء العلامة غاوتيه. ومن حسن حظ العلم أن اكثر كتب الغزالى بقي محفوظا لم يصبه ما أصاب

سواه من الضياع والاندثار ، وفي هذا دليل على إقبال العلماء والمتعلمين في أيام الغزالى وبعده على نقل مؤلفاته واستنساخها للاستفادة منها . وها نحن نذكر المطبوع من كتبه في مصر وغيرها على ما انتهى الينا العلم به :

(١) ـ احياء علوم الدين (٢) ـ المنقذ (٣) ـ عمدة المحققين (٤) ـ تهافت الفلاسفة (٥) ـ الدرة الفاخرة (٦) ـ مكاشفة القلوب (٧) ــ منهاج العابدين (٨) ــ بداية الهداية (٩) ــ سر العالمين (١٠) ــ المضنون به على غير أهله (١١) ــ الأجوبة الغزالية والمسائل الاخروية (١٢) ــ محك النظر (١٣) ـ المقصد الاسنى (١٤) ــ الحكمة فى مخلوقات الله (١٥) ــ القسطاس المستقيم (١٦) ــ الاقتصاد فى الاعتقاد (١٧) ـ الجام العوام (١٨) ـ المستصفى (١٩) ـ الوجيز (٢٠) ـ آداب الصوفية (٢١) ـ الكشف والتبيين

كتبه التى طبعناها بمصر

ولقد بذلنا جهداً كبيراً في سبيل الحصول على مالم يطبع من آثار الامام صاحب الترجمة فرحلنا عدة رحلات الى الاستانة وكردستان والعراق وفارس والشام وغيرها منقبين باحثين فكنا نعثر بين الفترة والاخرى علي مصنف تلو آخر من تلك الكنوز الثمينة التي نشرناها للطالبين وها هى أسماؤها :

(١) الرسالة اللدنية . استنسخناها من احدى مكاتب الاستانة (٢) جواهر القرآن (٣) الاربعين في أصول الدين (٤) ميزان العمل (٥) معيار العلم (٦) مقاصد الفلاسفة (٧) كيمياء السعادة ـ يضاف الى هذا ما اشتملت عليه هذه المجموعة التى سميناها « الجواهر الغوالي من رسائل الامام حجة الاسلام الغزالى » وفيها سبع رسائل هى (١) الادب في الدين (٢) أيها الولد (٣) فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة (٤) القواعد العشرة (٥) مشكاة الانوار (٦) رسالة الطير (٧) الرسالة الوعظية . وقد سبق لنا طبع أربع رسائل من هذه في جملة مجموعة كبيرة سميناها « مجموعة الرسائل »

ومن أجل ما وفقنا الله الى نشره كتاب « موعظة المؤمنين من احياء علوم الدين » تأليف الاستاذ الكبير علامة الشام المرحوم الشيخ جمال الدين القاسمى ، فقد التقينا به عندما زارنا بمصر قبيل وفاته وأعلمنا بأنه لخص كتاب الاحياء تلخيصاً لم يذهب شيئا من لباب الاصل وانه فعل ذلك استرشاداً برأى المرحوم الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ايام كان في ضيافته إذ قال له يوماً إن اعظم كتاب للوعظ والارشاد هو كتاب الاحياء لو جرد واختصر اختصاراً حسناً ، ولما رأى الشيخ جمال الدين عليه الرحمة اهتمامنا بنشر آثار الامام الغزالى اهدانا كتابه منسوخا بخطه واذن لنا بنشره وسمح بأن تحفظ لنا حقوق طبعه ، فنشرناه أولا وثانيا خدمة للعلم وطلابه .

* * *

هذه خلاصة وجيزة من ترجمة الامام الغزالى قدس سره ، وقد سبق أن أثبتنا له ترجمة مفصلة في صدر كتاب « معيار العلم » الذى طبعناه بمصر سنة ١٣٢٩ ه فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع اليه

﴿ تمت ﴾



فهرس المجموعة

﴿ الرسالة الاولى ﴾

الأدب في الدين

﴿ للامام الهمام حجة الاسلام ﴾

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

﴿ عليه الرحمة ﴾

﴿ طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الاسفار النفيسة ﴾

محيي الدين صبري الكردي

المطبعة العربية بمصر شارع المزين بالموسكي



الحمد لله الذى خلقنا فا كمل خلقنا * وأدبنا فأحسن أدبنا وشرفنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاحسن تشريفنا * ثم أقول وبالله التوفيق * ان أ كمل الاخلاق وأعلاها * وأحسن الافعال وأبهاها * هو الادب في الدين وما يقتدى به المؤمن من فعل رب العالمين * واخلاق النبيين والمرسلين * وقد أدبنا الله تعالى في القرآن بما أرانا فيه من البيان * وأدبنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم في السنة بما أوجب علينا فله المنة وكذلك الصحابة والتابعون ومن بعدهم من أهل الأدب من المؤمنين بما أوجب علينا من الاقتداء بهم وذلك جليل خطره كثير عدده نذكر بعضه لئلا يطول شرحه فيعسر فهمه *

﴿ آداب ﴾

﴿ أدب المؤمن بين يدي الله تعالى ﴾ اطراق الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة امتثال الأوامر واجتناب المناهي وقلة الاعتراض وحسن الخلق ودوام الذكر وتنزيه الفكر

وتقييد الجوارح وسكون القلب وتعظيم الرب وقلة الغضب وكتمان
الحب ودوام الاخلاص وترك النظر الى الاشخاص وايثار الحق
والاياس من جميع الخلق واخلاص العمل وصدق القول وتنزيه
الاطلاع واحياء القرب وقلة الاشارة وكتمان الفائدة والغيرة على
تبديل الاسم والغضب عند انتهاك المحارم ودوام الهيبة واستشعار
الحياء واستعمال الخوف والسكون ثقة بالضمان والتوكل معرفة بحسن
الاختيار واسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة
وارتعاش القلب خوف فوت الفرض ودوام التوبة خوف الاصرار *
ودوام التصديق بما غاب * ووجل القلب عند الذكر وزيادة الانوار
عند الوعظ واستشعار التوكل عند الفاقة واخراج الصدقة من غير
بخل مع الامكان *

﴿ آداب العالم ﴾ لزوم العلم والعمل بالعلم ودوام الوقار ومنع
التكبر وترك الدعاء به والرفق بالمتعلم والتأني بالمتعجرف واصلاح
المسئلة للبليد وترك الانفة من قول لا أدري * وتكون همته عند
السؤال خلاصه من السائل لاخلاص السائل وترك التكلف واستماع
الحجة والقبول لها وان كانت من الخصم *

﴿ آداب المتعلم مع العالم ﴾ يبدؤه بالسلام ويقل بين يديه الكلام
ويقوم له اذا قام ولا يقول له قال فلان خلاف ماقلت ولا يسأل جليسه
في مجلسه * ولا يبتسم عند مخاطبته ولا يشير عليه بخلاف رأيه ولا
يأخذ بثوبه اذا قام ولا يستفهمه عن مسئلة في طريقه حتى يبلغ الى منزله

ولا يكثر عليه عند ملله *

﴿ آداب المقرى ﴾ يجلس جلسة الخشية واستماع الامر وانصات
الفهم وانتظار الرحمة والاصغاء الى المتشابه واشارة الوقف وتعريف
الابتداء وبيان الهمزة وتعليم العدد وتجويد الحرف وفائدة الخاتم
والرفق بالبادي والسؤال عن المتعلم اذا غاب والحث له اذا حضر
وترك الحديث ويبدأ بالمتلقن يلقنه ما يصلي لنفسه أو احتاج الى
ان يؤم غيره *

﴿ آداب القاريء ﴾ يجلس بين يديه جلسة التواضع وجمع
الفهم وخفض الرأس والاستئذان قبل القراءة * ثم الاستعاذة
والتسمية والدعاء عند الفراغ *

﴿ آداب معلم الصبيان ﴾ يبدأ بصلاح نفسه فان أعينهم اليه
ناظرة وآذانهم اليه مصغية . فما استحسنه فهو عندهم الحسن * وما
استقبحه فهو عندهم القبيح * ويلزم الصمت في جلسته والشزر في
نظره ويكون معظم تأديبه بالرهبة ولا يكثر الضرب والتعذيب ولا
يحادثهم فيجترئوا عليه ولا يدعهم يتحدثون فينبسطون بين يديه
ولا يمازح بين أيديهم أحداً . ويتنزه عما يعطونه ويتورع عما بين
يديه يطرحونه يمنعهم من التحريش ويكفهم من التفتيش * ويقبح
عندهم الغيبة ويوحش عندهم الكذب والنميمة * ولا يسألهم عن أمر
ينوبهم فيثقلوه * ولا يكثر الطالب من أهلهم فيملوه * ويعلمهم الطهارة
والصلاة ويعرفهم بما يلحقهم من النجاسة *

﴿ آداب المحدث ﴾ يقصد الصدق ويجتنب الكذب ويحدث
بالمشهور ويروي عن الثقات ويترك المناكير ولا يذكر ما جرى
بين السلف ويعرف الزمان ويتحفظ من الزلل والتصحيف واللحن
والتحريف ويدع المداعبة ويقل المشاغبة ويشكر النعمة اذ جعل في
درجة الرسول صلى الله عليه وسلم ويلزم التواضع ويكون معظم ما
يحدث به ما ينتفع المسلمون به من فرائضهم وسننهم وآدابهم في
معاني كتاب ربهم عز وجل ولا يحمل علمه الى الوزراء ولا يغشى
أبواب الامراء فان ذلك يزرى بالعلماء ويذهب بهاء علمهم اذا
حملوه الى ملوكهم ومياسيرهم * ولا يحدث بما لا يعلمه في أصله ولا
يقرأ عليه مالا يراه في كتابه ولا يتحدث اذا قرىء عليه * ويحذر ان
يدخل حديثا في حديث

﴿ آداب طالب الحديث ﴾ يكتب المشهور ولا يكتب الغريب
ولا يكتب المناكير ويكتب عن الثقات ولا يغلبه شهرة الحديث
على قرينه * ولا يشغله طلبه عن مروءته وصلاته * يجتنب الغيبة
وينصت للسماع ويلزم الصمت بين يدى محدثه ويكثر التلفت عند
اصلاح نسخته * ولا يقول سمعت وهو ما سمع ولا ينشزه لطالب
العلو فيكتب من غير ثقة ويلزم أهل المعرفة بالحديث من أهل الدين
ولا يكتب عمن لا يعرف الحديث من الصالحين *

﴿ آداب الكاتب ﴾ حسن الخط وجودة البرى واعراب
اللفظ ومعرفة الحساب وسداد الرأى وحسن اللباس وطيب الرائحة

والمعرفة باخبار المتقدمين من الوزراء المتصرفين والتخوف من
المصادرات * والعلم بامر الخراج والمسامحة والخبرة في السوادات *
وترك الانخرام والتنزه عن الحرام واستعمال المروءة وحسن العشرة
والتحفظ عن الذلة وترك الرفث في المجالس ونفي المداعبة والمحادثة
والمداراة للحاشية *

﴿ آداب الواعظ ﴾ ترك التكبر ودوام الحياء من سيده واظهار
الفاقة الى خالقه وشهوة المنفعة لمستمعه والازراء على نفسه لمعرفة
عيبه والنظر الى المستمعين اليه بعين السلامة وحسن الظن بهم بباطن
الديانة والاياس منهم طلباً للصيانة والرفق بالتاديب والعطف على
المبتدى واعتقاد فعل ما يقول لينتفع الناس بما يقول *

﴿ آداب المستمع ﴾ اظهار الخشوع ودوام الخضوع وسلامة
الصدر وحسن الظن واعتقاد القول ودوام السكوت وقلة التقلب
وجمع الهم وترك التهمة *

﴿ آداب الناسك ﴾ يكون وقته معلوما ووروده مفهوما وكلامه
مقسوما ودمعه مسجوما * دائماً خشوعه لازما خضوعه غاضاً لطرفه
عاقاً لقلبه * مفكراً في دينه مراقبا لوقته مداوما لصومه ساهراً في
ليله متورعا في مسكنه متقللا في مطعمه ومشربه متوقعا لنزول أجله
مجانباً لقرنائه * تاركا لشهواته محافظاً على صلواته عالما بزيادة حاله
ونقصانه * لا يحتاج الى علم غيره مع علمه بحاله

﴿ آداب اعتزال الناس ﴾ يكون فقيها في دينه عارفا بامر

صلاته وصيامه وزكاته وحجه * يعتقد في اعتزالهم دفع شره عنهم
ويحضر الجمع والجماعات ويشهد الجنائز ويعود المرضى * ولا يخوض
في حديثهم ولا يسأل عما يفسد قلبه من أخبارهم ولا يطمع نفسه في
نائلهم حتى لا يكون له حاجة الى جيرانه * تكون أوقاته ثلاثة
إما ان يصلي ويدرس فيغنم * أو ينظر في كتبه فيتعلم أو ينام فيسلم *
يدمن الذكر ويكثر الشكر حتى يتم له الامر * فان كان له أهل يتحدث
معهم ويجتهد في خلوته حتى يرى ميزان عزلته *

﴿ آداب الصوفي ﴾ قلة الاشارة وترك الشطح فى العبارة
والتمسك بعلم الشريعة ودوام الكد واستعمال الجد والاستيحاش
من الناس وترك الشهرة في اللباس وإظهار التجمل واستشعار
التوكل واختيار الفقر ودوام الذكر وكتمان المحبة وحسن العشرة
في الصحبة والغض عن المردان وترك مؤاخاة النسوان ودوام
درس القرآن *

﴿ آداب الشريف ﴾ يصون شرفه ولا يأكل بنسبه ولا
يتعدى بحسبه * همته التواضع لربه والخوف من سيده ويأخذ
بالفضل على من دونه ولا يساوى من هو مثله * يعرف الفضل
لاهل العلم وان كان مثلهم في العلم أو أعلم * يلازم أهل الدين من
أهل الفقه والقرآن * ويهذب أخلاقه ويتحفظ في الفاظه عند غضبه
وخطابه يكرم جلساءه ويواصل اخوانه ويصون أقاربه ويعين جيرانه
ويزين بنفسه اخدانه *

﴿ آداب النوم ﴾ يتطهر قبل النوم وينام على يمينه ويذكر الله
عز وجل حتى يأخذه النوم ويدعو اذا استيقظ ويحمد الله تعالى *

﴿ آداب التهجد ﴾ تقليل الغذاء ونقصان الماء واصلاح النهار
باجتناب الغيبة والكذب واللغو وترك النظر الى المحرمات * والقيام
من النوم بفزع وخوف واسباغ الوضوء والنظر فى ملكوت السموات
والدعاء والحضور في الصلاة لفهم التلاوة *

﴿ آداب الخلاء ﴾ التسمية ثم الاستعاذة قبل الدخول
وكشف الثوب برفق بعد قربه من الارض * ومسح اليد بالتراب
بعد الاستنجاء مع الغسل والاستتار قبل الخروج والحمد والشكر
بعد الخروج *

﴿ آداب الحمام ﴾ ستر العورة وغض البصر عن العورات
وطلب الخلوة وترك التكلم وقلة التلفت ومنع السلام * وقلة الجلوس
وغسل الجنابة من قبل الدخول وغسل القدمين اذا خرج بالماء البارد
فانه يذهب الصداع *

﴿ آداب الوضوء ﴾ السواك ودوام الذكر مع الغسل واستشعار
الهيبة ممن يقصد والتوبة مما كان والسكوت بعد الطهارة حتى يدخل
في الصلاة والطهارة في أثر الطهارة وأخذ الشارب ونتف الابط
وحلق العانة وتقليم الاظفار والاختتان * وغسل البراجم وتعاهد
الانف ونظافة الثوب والبدن *

﴿ آداب دخول المسجد ﴾ يبدأ باليمنى ويزيل ما في نعله من

الاذى ويذكر اسم الله عز وجل ويسلم على من حضر فان كان
خاليًا سلم على نفسه ويسأل الله تعالى ان يفتح له أبواب رحمته
ويجلس في مواجهة القبلة * ويلازم المراقبة ويقل المخاطبة ويترك
الملاعنة * ولا يرفع فيه صوته ولا يشهر فيه سيفه ويمسك
بنصال نبله ولا يصنع صنعة ولا ينشد ضالة ولا يبايع ولا
يشارى ولا يمانع * فاذا انصرف بدأ باليسرى وسأل الله تعالى
من فضله ما يعطي *

﴿ آداب الاعتكاف ﴾ دوام الذكر وجمع الهم وترك الحديث
ولزوم الموضع * وترك التنقلات وحبس النفس عن مرادها ومنعها
من محابها وجبرها على طاعة الله عز وجل *

﴿ آداب الأذان ﴾ يكون المؤذن عارفا بوقته في الصيف وفي
الشتاء غاضًا طرفه عند صعود المنارة ويلتفت في أذانه عند النداء بالصلاة
والفلاح * ويرتل الأذان وينحدر في الاقامة

﴿ آداب الامام ﴾ يكون عارفًا بالصلاة وفرائضها وسننها
فقيها بما يحدث له في صلاته وما يفسدها لا يؤم قوما وهم له كارهون
يجعل من يليه من أهل العلم ويأمرهم بتسوية الصفوف * ويشير
اليهم بلطف * ولا يقرأ بطوال السور فيضجروا * ولا يطيل
التسبيح فيملوا * ولا يخفف بحيث يفوت الكمال بل يرتب الصلاة
على قدر قوة ضعفهم * ويترفق فى ركوعه وسجوده حتى يطمئنوا *
ويسكت سكتة قبل الحمد وبعد الحمد واذا فرغ من السورة *

وينتظر في ركوعه من أحس به ما لم يجحف بمن وراءه وينتظر قبل
الصلاة من فقد من جيرانه ما لم يخف فوت وقته * ويفرق بين
التسليمتين بوقفة خفيفة * واذا فرغ نظر الى ستر الله عليه ومنته
وازداد شكراً اسيده وأدام له في كل حالاته الذكر *

﴿ آداب الصلاة ﴾ خفض الجناح ولزوم الخشوع واظهار
التذلل وحضور القلب ونفي الوسواس وترك التقلب ظاهراً وباطنا
وهدو الجوارح واطراق الطرف ووضع اليمين على الشمال والتفكر
في التلاوة والتكبير بالهيبة والركوع بالخضوع والسجود بالخشوع
والتسبيح بالتعظيم والتشهد بالمشاهدة والتسليم بالاشفاق والانصراف
بالخوف والسعي بطلب الرضاء *

﴿ آداب القراءة ﴾ مداومة الوقار والحياء ومجانبة العبث
والخناء ولزوم التواضع والبكاء *

﴿ آداب الدعاء ﴾ خشوع القلب وجمع الهم واظهار الذل وحسن
النظر وخفض الجناح وسؤال الفاقه ولجأ الغريق ومعرفته بقدر
نفسه وعظيم حرمة المسئول وبسط الكف عند الرغبة واليقين
بالاجابة والخوف من الخيبة وانتظار الفرج وترك العدوان وصحة
القصد واللجا ومسح الوجه بباطن الكف بعد الدعاء *

﴿ آداب الجمعة ﴾ التأهب للوقت قبل دخوله والطهارة عند
حضوره والبكور وغسل الجسد ونظافة الثوب وطيب الرائحة وترك
التخطي وقلة الكلام ودوام الذكر والقرب من الامام والانصات

للخطيب والانتشار لطلب العلم والمشى بالسكينة والوقار وترك
تشبيك الاصابع ويقارب الخطى * ودوام الاطراق وكثرة الشكر
للرازق ودخول المسجد بالخشوع ورد السلام وترك الصلاة بعد
جلوس الخطيب على المنبر * ورد السلام عليه بعد اشارته وترك
الكلام واعتقاد القبول للموعظة وترك الالتفات عند اقباله
ومخاطبته وترك القيام الى الصلاة حتى ينزل من المنبر ويفرغ المؤذن
من الاقامة *

﴿ آداب الخطيب ﴾ يأتي المسجد وعليه السكينة والوقار *
ويبدأ بالتحية ويجلس وعليه الهيبة ويمتنع من التخاطب وينتظر
الوقت * ثم يخطو الى المنبر وعليه الوقار كأنه يجب أن يعرض ما
يقول على الجبار * ثم يصعد بالخشوع ويقف على المرقاة بالخضوع *
ويرتقي بالذكر ويلتفت الى مستمعه باجتماع الفكر * ثم يشير اليهم
بالسلام ليستمعوا منه الكلام * ثم يجلس للاذان فزعا من الديان *
ثم يخطب بالتواضع ولا يشير بالاصابع ويعتقد ما يقوله لينتفع به *
ثم يشير اليهم بالدعاء وينزل اذا أخذ المؤذن في الاقامة * ولا يكبر
حتى يسكتوا ثم يفتتح الصلاة ويرتل ما يقرأ *

﴿ آداب العيد ﴾ احياء ليلته والاغتسال في صبيحة يومه
ونظافة البدن وطيب الرائحة وادامة التكبير وكثرة الذكر واستعمال
الخشوع والتسبيح والحمد بين تضاعيف التكبير والانصات للخطبة
بعد الصلاة وأكل اليسير قبل الخروج ان كان فطراً والذهاب في

طريق والرجوع فى أخرى والانصراف بالاشفاق خوف الغيبة *

﴿ آداب الخسوف ﴾ دوام الفزع واظهار الجزع ومبادرة
التوبة وترك الملل وسرعة القيام الى الصلاة وطول القيام فيها
واستشعار الحذر *

﴿ آداب الاستسقاء ﴾ الصيام قبله وتقديم التوبة ورد المظالم
وبذل الهمة وترك المفاخرة والاغتسال قبل الخروج ودوام الصمت
ورؤية الحالة التى أوجبت المنع والاعتراف بالذنب الذى نزلت به
العقوبة واعتقاد ترك العود والانصات للخطبة والتسبيح بين التكبير
وكثرة الاستغفار وتحويل الازار مع الدعاء

﴿ آداب المريض ﴾ الاكثار من ذكر الموت والاستعداد له
بالتوبة ودوام الحمد والثناء لله واستعمال التضرع والدعاء واظهار العجز
والفاقة والتداوي مع الاستعانة بخالق الدواء واظهار الشكر عند
القوة وقلة الشكوى واكرام الجلساء وترك المصافحة *

﴿ آداب المعزى ﴾ خفض الجناح واظهار الحزن وقلة الحديث
وترك التبسم فانه يورث الحقد

﴿ آداب المشى مع الجنازة ﴾ دوام الخشوع وغض البصر
وترك الحديث وملاحظة الميت بالاعتبار والتفكر فيما يجيب به من
السؤال والعزم على المبادرة فيما يخاف به من المطالبة وخوف حسرة
الفوت عند هجوم الموت

﴿ آداب المتصدق ﴾ ينبغي له اداؤها قبل المسألة واخفاء

الصدقة عند العطاء وكتمانها بعد العطاء والرفق بالسائل ولا يبدؤه
برد الجواب ويرد عليه في الوسوسة ويمنع نفسه البخل ويعطيه ما
سأل أو يرده رداً جميلا * فان عارضه العدو ابليس لعنه الله ان السائل
ليس يستحق فلا يرجع بما انعم الله به عليه بل هو مستحق لها *

﴿ آداب السائل ﴾ يبدى الفاقة بصدق الحقيقة ويظهر
السؤال بلطافة القول ويأخذ ما أعطى بمقابلة الشكر وان قل
وحسن الدعاء فان رد عليه رجع بجميل قبول العذر وترك المعاودة
والالحاح .

﴿ آداب الغنى ﴾ لزوم التواضع ونفي التكبر ودوام الشكر
والتوصل الى اعمال البر والبشاشة بالفقير والاقبال عليه ورد السلام
على كل أحد واظهار الكفاية ولطافة الكلمة وطيب المؤانسة
والمساعدة على الخيرات .

﴿ آداب الفقير ﴾ لزوم القناعة وكتمان الفاقة وترك البذالة
والتضعضع والقاء الطمع وايثار الصيانة واظهار الكفاية لاهل
المروءة من أهل الديانة واجلال الاغنياء مع قلة الاستبشار لهم *
واظهار الكفاية لهم مع الاياس منهم وترك الكبر عليهم مع نفي
التذلل وحفظ القلب عند رؤيتهم والتمسك بالدين عند مشاهدتهم

﴿ آداب المهدي ﴾ رؤية الفضل للمهدى اليه واظهار السرور
بالقبول لها * والشكر عند رؤية المهدى اليه والاستقلال لها وان
كثرت *

﴿ آداب المهدى اليه ﴾ اظهار السرور بها وان قلت والدعاء
لصاحبها اذا غاب والبشاشة اذا حضر والمكافأة اذا قدر والثناء
عليه اذا أمكن وترك الخضوع له والتحفظ من ذهاب الدين معه
ونفى الطمع ثانياً *

﴿ آداب اصطناع المعروف ﴾ البداءة قبل السؤال والمبادرة به
عند الوعد والتوقير له عند العطاء والستر له بعد الاخذ وترك المنة
بعد القبول والمداومة على اصطناعه والحذر من انقطاعه *

﴿ آداب الصيام ﴾ طيب الغذاء وترك المراء ومجانبة الغيبة ورفض
الكذب وترك الاذى وصون الجوارح عن القبائح .

﴿ آداب الحج ﴾

﴿ آداب الطريق ﴾ طيب النفقة والاحسان الى المكارى ومعاونة
الرفقة والرفق بالمنقطع وبذل الزاد وحسن الخلق وطيب الكلمة
والمزاح من غير معصية واختيار التعديل والاستبشار به عند رؤيته
والاصغاء عند محادثته وقلة المماراة له عند ضجره والتغافل عن زلته
والشكر له عند خدمته والتوصل الى ايثاره ومساعدته .

﴿ آداب الاحرام ﴾ غسل الجسد ونظافة الازارين وطيب
الرائحة وتعاهد الجياع والتلبية بالهيبة ورفع الصوت بحلاوة
الاجابة والطواف بتعظيم الحرمة والسعي بطلب الرضاء والوقوف
بمشاهدة القيامة * وشهود المشعر برؤية الرحمة والحلق برؤية

العتق والذبح برؤية الكفارة والرمي برؤية الطاعة وطواف الزيارة بمشاهدة المرور وهو من غير حد والرد بحقيقة الاسف والانصراف بمحبة الرجوع *

﴿ آداب دخول مكة ﴾ دخول الحرم بالتعظيم والنظر الى مكة بالتحسر ورؤية المسجد بالتفضيل ونظر البيت بالتكبير والتهليل ودوام الطواف ومواصلة العمرة ودخول البيت بتعظيم الحرمة ودوام التوبة بعد دخوله *

﴿ آداب دخول المدينة ﴾ يدخلها بالوقار مع السكينة والمشاهدة لما كان فيها من الشريعة والنظر اليها بالعين الرفيعة ثم يأتي مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومنبره كأنه مشاهد لصلاته وخطبته * ثم يأتي قبره وكأنه ناظر الى شخصه الكريم ومخاطبته مع خفض الصوت بحضرته كأنه معاين لجلسته فيبدؤه بالسلام ثم يسلم على ضجيعيه ويشاهد محبتهما له ومشيته بينهما واقباله عليهما * واذا ودع القبر فلا يوليه الظهر *

﴿ آداب التاجر ﴾ لا يجلس في طريق المسلمين فيضيق عليهم ويستعمل غلاما كيّسا لا يبخس في كيله ولا ينقص في وزنه يأمره بالرجحان وترك العجلة في الميزان يكون ميزان دراهمه في حدته كالطيار ومن اعتداله كالمعيار طويلة خيوطه دقيقة ذوائبه معبرة صنجاته معتدلة حباته يبتدىء كل يوم بمسح ميزانه ويتعاهد نقص ارطاله وصنجاته يأمر غلامه بالتوقف في كيله الادهان واذا وقف

عليه شريف أكرمه أو جار فضله أو ضعيف رحمه أو غير هؤلاء انصفه * يبيع على قدر أسعاره ان نقص سعره زاد زبونه كما أنه ان زاد سعره نقص زبونه وتكون همته في جلوسه درس القرآن وغض الطرف عن المحارم والغلمان يشتري عرضه باليسير من سفيه يقف عليه لا يرد السائل ولا يمنع البشر من النائل فان كان هو المتولي لامره كان ما يلزم غلامه هو اولى به * ويشترى الارطال والصنجات والمكيال من الثقات معبرات ويترك المدح للسلعة عند البيع والذم لها عند الشراء ويلزم الصدق عند الاخبار ويحذر الفحش عند المزايدة والكذب عند المحادثة ويقل الخوض مع أهل الاسواق ومداعبة الاحداث ويقصر في الخصومات .

﴿ آداب الصيرفي ﴾ يعتقد الصحة ويؤدي الامانة ويحذر الرباء ويقرب النسيئة ولا ينفق الرديئة ويوفي الوزن ولا يعتقد الغش والغبن متفقداً لمعياره خائفاً من نقصان صنجاته ومثاقيله .

﴿ آداب الصائغ ﴾ استعمال النصيحة والاجتهاد في الجودة وقلة المطل ووفاء الوعد وترك التعدي في الاجرة .

﴿ آداب الاكل ﴾ غسل اليدين قبل الطعام وبعده والتسمية والاكل باليمين ومما يليه ويصغر اللقمة وإجادة المضغ وقلة النظر الى وجوه الحاضرين ولا يأكل متكئا ولا يأكل فوق الشبع وفوق الجوع ويعتذر اذا شبع حتى لا يخجل الضيف أو من به حاجة ويأكل من جوانب القصعة ولا يأكل من ذروتها ويلصق الاصابع

بعد الفراغ ويحمد الله ولا يذكر الموت عند الأكل لئلا ينغص على الحاضرين *

﴿ آداب الشرب ﴾ ينظر في انائه قبل شربه ويسمي الله تعالى قبله ويحمده بعده ويمصه مصاً ولا يعبه عبا ويتنفس في شربه ثلاثاً يتبعه بالتحميد ويرد بالتسمية ولا يشرب قائما ويناول من كان على يمينه ان كان معه غيره *

﴿ آداب الرجل اذا أراد النكاح ﴾ يطلب الدّين ثم بعده الجمال والمال ان أراده ولا يشارط على ما يأتيه ولا يضمره ولا يخطب على خطبة أخيه ولا يأذن فى املاكه وعرسه بما يباعده من ربه ويزريه ولا يجلس في خلواته حيث يرى غيره حرمته ولا يقبلها بين أهله وأهلها ويبدأها اذا خلا في سؤاله ولا يكون سفيره كذاباً ولا المخبر له نماما بل من خاصتها ويسأله عن دينها هو ومواظبتها على صلاتها ومراعاتها لصيامها وعن حيائها ونظافتها وحسن الفاظها وقبحها ولزوم عقر بيتها وبرها بوالديها ويتلطف قبل العقد فى النظر اليها وبعده بما يبلغها بالكلام الجميل ويبحث عن خصال والدها ودينه وحال والدتها ودينها وأعمالها *

﴿ آداب المرأة اذا خطبها الرجل ﴾ تأمر من تأمن به من أهلها ان كان صدوقا ان يسأل عن مذهب الخاطب ودينه واعتقاده ومروءته في نفسه وصدقه في وعده وتنظر من قرباؤه ومن يغشاه في بيته وعن مواظبته على صلواته وجماعته ونصيحته في تجارته وصنعته

ويكون رغبتها في دينه دون ماله أو في سيرته دون شهرته تعزم معه على القناعة * وتكون لأوامره مطيعة فهو آكد للالفة وأثبت للمودة *

﴿ آداب الجماع ﴾ طيب الرائحة ولطافة الكلمة واظهار المودّة وتقبيل الشهوة والتزام المحبة * ثم التسمية وترك النظر الى الفرج فانه يورث العمى والستر تحت الازار وترك استقبال القبلة *

﴿ آداب الرجل مع الزوجة ﴾ حسن العشرة ولطافة الكلمة واظهار المودة والبسط في الخلوة والتغافل عن الزلة واقالة العثرة وصيانة عرضها وقلة مجادلتها وبذل المؤنة بلا بخل لها واكرام أهلها ودوام الوعد الجميل وشدة الغيرة عليها

﴿ آداب المرأة مع زوجها ﴾ دوام الحياء منه وقلة المماراة له ولزوم الطاعة لامره والسكون عند كلامه والحفظ له فى غيبته وترك الخيانة في ماله وطيب الرائحة وتعهد الفم ونظافة الثوب واظهار القناعة واستعمال الشفقه ودوام الزينة واكرام أهله وقرابته ورؤية حاله بالفضل وقبول فعله بالشكر واظهار الحب له عند القرب منه واظهار السرور عند الرؤية له

﴿ آداب الرجل في نفسه ﴾ لزوم الجمعة والجماعة ونظافة الملبس وادامة السواك ولا يلبس المشهور ولا المحقور ولا يطيل ثيابه تكبراً ولا يقصرها تمسكناً ولا يكثر التلفت في مشيته ولا ينظر الى غير

حرمته ولا يبصق فى حال محادثته ولا يكثر القعود على باب داره
مع جيرانه ولا يكثر لاخوانه الحديث عن زوجته وما في بيته *

﴿ آداب المرأة في نفسها ﴾ لازمة لمنزلها قاعدة في قعر بيتها
لا تكثر صعودها ولا اطلاعها الكلام لجيرانها ولاتدخل عليهم الا
في حال يوجب الدخول تسر بعلها في نظره وتحفظه فى غيبته ولا
تخرج من بيته وان خرجت فمتخبئة تطلب المواضع الخالية مصونة
في حاجاتها بل تتناكر ممن يعرفها همتها اصلاح نفسها وتدبير بيتها
مقبلة على صلاتها وصومها ناظرة في عيبها متفكرة في دينها دائمة
صمتها غاضة طرفها مراقبة لربها كثيرة الذكر له طائعة لبعلها تحثه على
طلبه الحلال ولا تطلب منه الكثير من النوال ظاهرة الحياء قليلة
الخناء صبور شكور مؤثرة في نفسها مواسية من حالها وقوتها واذا
استأذن ببابها صديق لبعلها وليس بعلها حاضراً لم تستفهمه ولا في
الكلام تعاوده غيرة منها على نفسها وبعلها منه

﴿ آداب الاستئذان ﴾ المشى بجانب الجدار ولا يقابل
الباب والتسبيح والتحميد قبل الدق والسلام بعده وترك السمع
الى من في المنزل واستئذان بعد السلام فان أذن له والا رجع ولم
يقف ولا يقول أنا بل يقول فلان اذا استفهم

﴿ آداب الجلوس على الطريق ﴾ غض البصر ونصر المظلوم
واغاثة الملهوف واعانة الضعيف وارشاد الضال ورد السلام واعطاء
السائل وترك التلفت والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالرفق

واللطف فان أصر فبالرهبة والعنف ولا يصغى الى الساعي إلا ببينة
ولا يتجسس ولا يظن بالناس الا خيرا *

﴿ آداب المعاشرة ﴾ اذا دخل مجلساً أو جماعة سلم وجلس
حيث امتنع وترك التخطى وخص بالسلام من قرب منه اذا جلس وان
بلي بمجالسة العامة ترك الخوض معهم ولا يصغي الى أراجيفهم ويتغافل
عما يجرى من سوء الفاظهم ويقل اللقى لهم الا عند الحاجة ولا يستصغر
أحداً من الناس فيهلك ولا يدرى لعله خير منه وأطوع لله منه *
ولا ينظر اليهم بعين التعظيم في دنياهم لان الدنيا صغيرة عند الله
صغير ما فيها ولا يعظم قدر الدنيا في نفسه فيعظم أهلها لاجلها
فيسقط من عين الله ولا يبذل لهم دينه لينال من دنياهم فيصغر
في أعينهم ولا يعاديهم فتظهر لهم العداوة ولا يطيق ذلك ولا يصبر
عليه إلا أن تكون معاداة في الله عز وجل فيعادي أفعالهم القبيحة
وينظر اليهم بعين الشفقة والرحمة ولا يشكر اليهم في مودتهم له
واكرامهم إياه وحسن بشاشتهم في وجهه وثنائهم عليه فانه من
طلب حقيقة ذلك لم يجده الا في الاقل وان سكن اليهم وكله الحق
اليهم فهلك ولا يطمع أن يكونوا له في الغيب كما هم له في العلانية
فانه لا يجد ذلك أبداً ولا يطمع فيما في أيديهم فيذل لهم ويذهب
دينه معهم ولا يتكبر عليهم * واذا سأل أحداً منهم حاجة فقضاها
فهو أخ مستفاد وان لم يقضها فلا يذمه فيكتسب عداوته ولا يعظ
أحداً منهم الا أن يرى فيه أثر القبول والا عاداه ولم يسمع منه *

واذا رأى منهم خيراً أو كرامة أو ثناء فليرجع بذلك الى الله عز وجل ويحمده ويسأله أنه لا يكله اليهم * واذا رأى منهم شراً أو كلاما قبيحا أو غيبــة أو شيئاً يكرهه فليكل الامر الى الله تعالى ويستعيذ به من شرهم ويستعينه عليهم ولا يعاتبهم فانه لا يجد عندهم للعتاب موضعا ويصيرون له أعداء ولا يشفي غيظه بل يتوب الى الله تعالى من الذنب الذي به سلطهم عليه ويستغفر الله منه وليكن سميعا لحقهم أصم عن باطلهم *

﴿ آداب الولد مع والديه ﴾ يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل لامرهما ويلبي دعوتهما ويخفض لهما جناح الذل من الرحمة ولا يبرمهما بالالحاح ولا يمن عليهما بالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر اليهما شزراً ولا يعصي لهما أمراً *

﴿ آداب الوالد مع أولاده ﴾ يعينهم على بره ولا يكلفهم من البر فوق طاقتهم ولا يلح عليهم في وقت ضجرهم ولا يمنعه من طاعة ربه ولا يمن عليه بتربيته *

﴿ آداب الاخوان ﴾ الاستبشار بهم عند اللقاء والابتداء بالسلام والمؤانسة والتوسعة عند الجلوس والتشييع عند القيام والانصات عند الكلام وتكره المجادلة في المقال وحسن القول للحكايات وترك الجواب عند انقضاء الخطاب والنداء بأحب الاسماء *

﴿ آداب الجار ﴾ ابتداؤه بالسلام ولا يطيل معه الكلام ولا يكثر عليه السؤال ويعوده في مرضه ويعزيه عند مصيبته ويهنيه في

فرحه ويتلطف لولده وعبده في الكلام ويصفح عن زلته ومعاتبته برفق عند هفوته ويغض عن حرمته ويعينه عند صرخته ولا يديم النظر الى خادمته *

﴿ آداب السيد مع عبده ﴾ لا يكلفه ما لا يطيق من خدمته ويرفق به عند ضجره ولا يكثر ضربه ولا يديم سبه فيجرأ عليه ويصفح عن زلته ويقبل معذرته واذا أصلح له طعاما أجلسه معه على مائدته أو أعطاه لقما من طعامه *

﴿ آداب العبد مع سيده ﴾ يأتمر لامره وينصحه في غيبته ويبذل له خدمته ويحفظه في حرمته ويرق على ولده ولا يخونه في ماله *

﴿ آداب السلطان مع الرعية ﴾ استعمال الرفق وترك التعنيف والفكر قبل الامر وترك التكبر على الخاصة مع منع العدوان منهم والتودد الى العامة مع مزج الرهبة لهم والتطلع على أمور الحاشية واستعمال المروءة مع أهل العلم والتوسعة عليهم وعلى الاصحاب والاقارب والرفق في الجناية ودوام الحماية *

﴿ آداب الرعية مع السلطان ﴾ قلة الغشيان لبابه وترك الاستعانة به إلا لشيء يلزم امره ودوام الهيبة له وان كان ذا رفق وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين وقلة السؤال وإن كان مجيباً والدعاء له اذا ظهر وترك الكلام فيه والانشاد اذا غاب *

﴿ آداب القاضي ﴾ إدمان السكوت واستعمال الوقار وهدو

الجوارح ومنع الحاشية من الفساد والطغيان والرفق بالارامل والاحتياط لليتيم والتوقف في الجواب والرفق بالخصوم ومنع الميل الى أحد الخصمين والموعظة للمخالف ودوام اللجأ الى الله فى صواب القضاء *

﴿ آداب الشاهد ﴾ إستشعار الامانة وإظهار الصيانة واستعمال الديانة وترك الخيانة والتثبت في الشهاده والتحفظ من النسيان وقلة المجادلة للسلطان *

﴿ آداب الجهاد ﴾ صدق النية والغيرة لله تعالى وبذل المجهود والسخاء بالمهجة ونفي شهوة الرجوع والقصد في أن تكون كلمة الله هى العليا وترك الغلول وقضاء دينه قبل الخروج واستصحاب ذكر الله عند القتال وفي كل حال *

﴿ آداب الاسير ﴾ لايؤمل فرجاً من غير الله تعالى ولايذل نفسه في معصية الله تعالى ولاييأس من روح الله تعالى ويجمع همه بين يدي الله تعالى ويعلم انه بعين الله ولاينبسط في مال العدو بما لايبيحه الله ولايفزع الى غير الله تعالى *

﴿ آداب جامع ﴾

قال بعض الحكماء من الادب : الق صديقك وعدوك بوجه الرضاء من غير ذلة لهم ولاهيبة منهم وتوقر من غير كبر وكن في جميع أمورك في أوساطها ولاتنظر في عطفيك ولاتكثر الالتفات ولاتقف على الجماعات وإذا جلست فترفع وتحذر من تشبيك أصابعك

والعبث بخاتمك وتخليل أسنانك وإدخال يدك في أنفك وطرد الذباب عن وجهك وكثرة التمطي والتثاؤب وليكن مجلسك هادئاً وكلامك مقسوماً واصغ الى الكلام الحسن ممن يحدثك بغير اظهار عجب منك ولامسكنة ولاإعادة وغض عن المضاحك والحكايات ولاتحدث عن إعجابك بولدك ولاجاريتك ولاتتصنع كما تتصنع المرأة * ولاتتبذل كما يتبذل العبد * وكن معتدلا في جميع أمورك وتوق كثرة الكحل والاسراف فى الدهن * ولاتلح في الحكايات ولاتعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم عن مالك فانهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن رأوه كثيراً لم تبلغ الى رضاهم وأجبهم من غير عنف * وان لهم من غير ضعف * واذا خاصمت فتوقر * وتفكر في حجتك ولاتكثر الاشارة بيدك * ولاتجث على ركبتيك * وإذا هدأ غضبك فتكلم وإن بليت بصحبة السلطان فكن منه على حذر * ولاتأمن من انقلابه عليك وارفق به رفقك بالصبي وكلمه بما يشاء * وإياك أن تدخل بينه وبين اهله وولده وحشمه ولو كان مستمعاً لذلك * وإياك وصديق العافية فانه احد الاعداء لك ولاتجعل مالك اكرم عليك من عرضك * وإياك وكثرة البصاق بين الناس فان صاحبه ينسب الى التأنيث ولاتظهر لصديقك كل مايؤذيك فانه متى رأى منك وقعة أعقبك العداوة * ولاتمازح لبيباً فيحقد عليك * ولاسفيها فيجترىء عليك لان المزاح يخرق الهيبة ويسقط المنزله ويذهب ماء الوجه ويعقب الحزن ويزيل حلاوة الود * يثير

فقه الفقيه * ويجريء السفيه ويميت القلب ويباعد من الرب *
ويعقب الذم * ويفسخ العزم * ويظلم السرائر * ويميت الخواطر *
ويكثر الذنوب * ويبين العيوب * نسأل الله تعالى أن يهدينا فيمن
هدى * ويعافينا فيمن عافى * ويتولانا فيمن تولى * ويبارك
لنا فيما أعطى * ويقينا شر ماقضى * فانه لاراد لما قضى
ولا يعز من عادى * ولا يذل من والى * تبارك ربنا
وتعالى * نستغفره ونتوب اليه * ونسأله أن
يصلي بافضل الصلوات كلها على عبده
المصطفى وعلى آله وأصحابه أعلام
الهدى وسلم تسليما كثيرا والحمد
لله رب العالمين وصلى
الله على سيدنا محمد
النبي الامين
آمين

م

﴿ تمت الرسالة ويليها رسالة ﴿ أيها الولد ﴾ للامام الغزالي ﴾

ا

الرسالة الثانية

رسالة أيها الولد

﴿ للامام الهمام حجة الاسلام ﴾

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

﴿ عليه الرحمة ﴾

﴿ طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة ﴾

محيي الدين صبري الكردي

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي



الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين *

﴿ اعلم أن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالى قدس الله روحه * واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم واستكمل من فضائل النفس * ثم انه تفكر يوما في حال نفسه وخطر على باله فقال * انى قرأت أنواعا من العلوم وصرفت ريعان عمرى على تعلمها وجمعها فالآن ينبغي أن أعلم أى نوعها ينفعنى غداً ويؤانسني في قبرى وأيها لا ينفعنى حتى أتركه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب الى حضرة الشيخ حجة الاسلام محمد الغزالي رحمة الله تعالى عليه استفتاء وسأله مسائل والتمس منه نصيحة ودعاء * قال وان كان مصنفات الشيخ كالاحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلى لكن مقصودى أن يكتب الشيخ حاجتي في ورقات

تكون معي مدة حياتي وأعمل بما فيها مدة عمري ان شاء الله تعالى * فكتب الشيخ هذه الرسالة اليه في جوابه والله أعلم *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اعلم ﴾ أيها الولد المحب العزيز أطال الله بقاك بطاعته * وسلك بك سبيل أحبائه أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه السلام ان كان قد بلغك منه نصيحة فأي حاجة لك في نصيحتى وان لم يبلغك فقل لى ماذا حصلت في هذه السنين الماضية *

﴿ أيها الولد ﴾ من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله ﴿ علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته * ومن جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار ﴾ وفى هذه النصيحة كفاية لاهل العلم *

﴿ أيها الولد ﴾ النصيحة سهلة والمشكل قبولها لانها في مذاق متبع الهوى مرة إذ المناهى محبوبة فى قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب علم الرسمي مشتغل في فضل النفس ومناقب الدنيا فانه يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته وخلاصه فيه وأنه مستغن عن العمل وهذا اعتقاد الفلاسفة سبحان الله العظيم لا يعلم هذا القدر انه حين حصل العلم اذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أشد الناس عذابا يوم القيامة



الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * والصلاة والسلام على نبيه محمد وآله أجمعين *

﴿ اعلم أن واحداً من الطلبة المتقدمين لازم خدمة الشيخ الامام زين الدين حجة الاسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالى قدس الله روحه * واشتغل بالتحصيل وقراءة العلم عليه حتى جمع من دقائق العلوم واستكمل من فضائل النفس * ثم انه تفكر يوما في حال نفسه وخطر على باله فقال * انى قرأت أنواعا من العلوم وصرفت ريعان عمرى على تعلمها وجمعها فالآن ينبغي أن أعلم أى نوعها ينفعنى غداً ويؤانسني في قبرى وأيها لا ينفعنى حتى أتركه * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ﴾ فاستمرت له هذه الفكرة حتى كتب الى حضرة الشيخ حجة الاسلام محمد الغزالي رحمة الله تعالى عليه استفتاء وسأله مسائل والتمس منه نصيحة ودعاء * قال وان كان مصنفات الشيخ كالاحياء وغيره يشتمل على جواب مسائلى لكن مقصودى أن يكتب الشيخ حاجتي في ورقات

تكون معي مدة حياتي وأعمل بما فيها مدة عمري ان شاء الله تعالى * فكتب الشيخ هذه الرسالة اليه في جوابه والله أعلم *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ اعلم ﴾ أيها الولد المحب العزيز أطال الله بقاك بطاعته * وسلك بك سبيل أحبائه أن منشور النصيحة يكتب من معدن الرسالة عليه السلام ان كان قد بلغك منه نصيحة فاي حاجة لك في نصيحتى وان لم يبلغك فقل لى ماذا حصلت في هذه السنين الماضية *

﴿ أيها الولد ﴾ من جملة ما نصح به رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته قوله ﴿ علامة إعراض الله عن العبد اشتغاله بما لا يعنيه وان امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لجدير أن تطول عليه حسرته * ومن جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار ﴾ وفى هذه النصيحة كفاية لاهل العلم *

﴿ أيها الولد ﴾ النصيحة سهلة والمشكل قبولها لانها في مذاق متبع الهوى مرة إذ المناهى محبوبة فى قلوبهم على الخصوص لمن كان طالب علم الرسمي مشتغل في فضل النفس ومناقب الدنيا فانه يحسب أن العلم المجرد له سيكون نجاته وخلاصه فيه وأنه مستغن عن العمل وهذا اعتقاد الفلاسفة سبحان الله العظيم لا يعلم هذا القدر انه حين حصل العلم اذا لم يعمل به تكون الحجة عليه آكد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ أشد الناس عذابا يوم القيامة

عالم لاينفعه الله بعلمه ﴾ * وروى ان الجنيد قدس الله سره رؤى في المنام بعد موته فقيل له ما الخبر يا أبا القاسم قال طاحت تلك العبارات وفنيت تلك الاشارات وما نفعنا الا ركيعات ركعناها في جوف الليل *

﴿ أيها الولد ﴾ لا تكن من الاعمال مفلسا ولا من الاحوال خالياً وتيقن ان العلم المجرد لا يأخذ اليد مثاله لو كان على رجل في برية عشرة أسياف هندية مع أسلحة أخرى وكان الرجل شجاعا وأهل حرب فحمل عليه أسد عظيم مهيب فما ظنك هل تدفع الاسلحة شره عنه بلا استعمالها وضربها — ومن المعلوم انها لا تدفع الا بالتحريك والضرب * فكذا لو قرأ رجل مائة الف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده الا بالعمل * ومثله أيضا لو كان لرجل حرارة ومرض صفراوي يكون علاجه بالسكنجبين والكشكات فلا يحصل البرء الا باستعمالهما (شعر)

﴿ كرمى دوهزار رطل همى پيمائى
تامى نخوري نباشدت شيدائى[1] ﴾

ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت الف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى الا بالعمل (وان ليس للانسان الا ما سعى)

---

(١) نعم ما ترجم به هذا البيت حضرة الاستاذ الفاضل الجليل مرشد السالكين الشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي فقال

لو كان ألفي رطل خمر لم تكن * لتصير نشواناً اذا لم تشرب

﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ﴾ وما تقول في هذا الحديث ﴿ بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا ﴾ والايمان قول باللسان وتصديق بالجنان وعمل بالاركان * ودليل الاعمال اكثر من ان يحصى وان كان العبد يبلغ الجنة بفضل الله تعالى وكرمه لكن بعد ان يستعد بطاعته وعبادته لان رحمة الله قريب من المحسنين * ولو قيل ايضاً يبلغ بمجرد الايمان * قلنا نعم لكن متى يبلغ ؟ وكم من عقبة كؤدة ينتقلها الى ان يصل * اول تلك العقبات عقبة الايمان وانه هل يسلم من سلب الايمان ام لا واذا وصل يكون خائبا مفلساً * وقال الحسن البصري يقول الله تعالى لعباده يوم القيامة ادخلوا يا عبادى الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم *

﴿ أيها الولد ﴾ مالم تعمل لم تجد الأجر ﴿ حكى ﴾ انرجلا من بنى اسرائيل عبد الله تعالى سبعين سنة فأراد الله تعالى أن يجلوه على الملائكة فأرسل الله اليه ملكا يخبره انه مع تلك العبادة لايليق به دخول الجنة * فلما بلغه قال العابد نحن خلقنا للعبادة فينبغي لنا أن نعبده فلما رجع الملك قال إلهي أنت أعلم بما قال * فقال الله تعالى

اذا هو لم يعرض عن عبادتنا فنحن مع الكرم لانعرض عنه اشهدوا ياملائكتي اني قد غفرت له * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ حاسبوا قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا ﴾ وقال علي رضى الله عنه من ظن انه بدون الجهد يصل فهو متمن * ومن ظن انه ببذل الجهد يصل فهو مستغن * وقال الحسن رحمه الله تعالى طلب الجنة بلاعمل ذنب من الذنوب * وقال علامة الحقيقة ترك ملاحظة العمل لاترك العمل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعدالموت والاحمق من اتبع هواه وتمنى على الله تعالى الامانى ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ كم من ليال أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب وحرمت على نفسك النوم * لاأعلم ما كان الباعث فيه ان كان نيل عرض الدنيا وجذب حطامها وتحصيل مناصبها والمباهاة على الاقران والامثال فويل لك ثم ويل لك وان كان قصدك فيه احياء شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وتهذيب أخلاقك وكسر النفس الامارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك * ولقد صدق من قال شعراً *

﴿ سهر العيون لغير وجهك ضائع

وبكاؤهن لغير فقدك باطل ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ عش ماشئت فانك ميت وأحبب من شئت فانك مفارقه واعمل ماشئت فانك مجزي به *

﴿ أيها الولد ﴾ أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام

والخلاف والطب والدواوين والاشعار والنجوم والعروض والنحو والتصريف غير تضييع العمر بخلاف ذي الجلال * اني رأيت في انجيل عيسى عليه الصلاة والسلام قال من ساعة أن يوضع الميت على الجنازة الى أن يوضع على شفير القبر يسأل الله بعظمته منه أربعين سؤالا * أوله يقول عبدي طهرت منظر الخلق سنين وماطهرت منظرى ساعة وكل يوم ينظر فى قلبك يقول ماتصنع لغيري وأنت محفوف بخيرى أما أنت أصم لاتسمع *

﴿ أيها الولد ﴾ العلم بلاعمل جنون والعمل بغير علم لايكون

﴿ واعلم ﴾ ان العلم لايبعدك اليوم عن المعاصى ولايحملك على الطاعة ولن يبعدك غداً عن نار جهنم واذا لم تعمل اليوم ولم تدارك الايام الماضية تقول غداً يوم القيامة فارجعنا نعمل صالحاً فيقال ياأحمق أنت من هناك تجيء *

﴿ أيها الولد ﴾ إجعل الهمة في الروح والهزيمة فى النفس والموت في البدن لان منزلك القبر وأهل المقابر ينتظرونك في كل لحظة متى تصل اليهم إياك إياك أن تصل اليهم بلازاد * وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه هذه الاجساد قفص الطيور واصطبل الدواب فتفكر في نفسك من أيهما أنت إن كنت من الطيور العلوية فحين تسمع طنين طبل ارجعي الى ربك تطير صاعداً الى أن تقعد فى أعالى بروج الجنان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتز عرش الرحمن من موت سعد بن معاذ والعياذ بالله إن كنت من الدواب كما قال الله

تعالى ﴿ أولئك كالانعام بل هم أضل ﴾ فلا تأمن انتقالك من زاوية
الدار الى هاوية النار وروى ان الحسن البصرى رحمه الله تعالى
أعطي شربة ماء بارد فأخذ القدح وغشي عليه وسقط من يده فلما
أفاق قيل له مالك يا أباسعيد قال ذكرت أمنيّة اهل النار حين يقولون
لاهل الجنة أفيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله *

﴿ ايها الولد ﴾ لو كان العلم المجرد كافياً لك ولا تحتاج الى عمل
سواه لكان نداء هل من سائل هل من مستغفر هل من تائب
ضائعاً بلا فائدة * وروى ان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين ذكروا عبدالله بن عمر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال نعم الرجل هو لو كان يصلى بالليل * وقال عليه الصلاة والسلام
لرجل من اصحابه يافلان لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل
يدع صاحبه فقيراً يوم القيامة *

﴿ ايها الولد ﴾ ومن الليل فتهجد به أمر وبالاسحار هم يستغفرون
شكر والمستغفرون بالاسحار ذكر * قال عليه السلام ثلاثة اصوات
يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت الذى يقرأ القرآن وصوت
المستغفرين بالاسحار * قال سفيان الثوري رحمة الله تعالى عليه
ان الله تبارك وتعالى خلق ريحاً تهب بالاسحار تحمل الاذكار
والاستغفار الى الملك الجبار * وقال ايضاً اذا كان اول الليل ينادى
مناد من تحت العرش الا ليقم العابدون فيقومون ويصلون ما شاء
الله * ثم ينادي مناد في شطر الليل الا ليقم القانتون فيقومون

ويصلون الى السحر فاذا كان السحر نادى مناد الا ليقم المستغفرون
فيقومون ويستغفرون فاذا طلع الفجر نادي مناد الا ليقم الغافلون
فيقومون من فروشهم كالموتى نشروا من قبورهم *

﴿ أيها الولد ﴾ روى في وصايا لقمان الحكيم لابنه انه قال
يا بنى لا يكونن الديك أكيس منك ينادى بالاسحار وأنت نائم
ولقد أحسن من قال شعراً

﴿ لقد هتفت في جنح ليل حمامة
على فنن وهنا وانى لنائم ﴾
﴿ كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً
لما سبقتنى بالبكاء الحمائم ﴾
﴿ وأزعم اني هائم ذو صبابة
لربى فلا أبكي وتبكى البهائم ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ خلاصة العلم أن تعلم أن الطاعة والعبادة ماهى
﴿ اعلم ﴾ ان الطاعة والعبادة متابعة الشارع في الاوامر والنواهي
بالقول والفعل يعنى كل ما تقول وتفعل وتترك يكون باقتداء الشرع
كما لو صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصياً أو صليت في
ثوب مغصوب وان كانت صورة عبادة تأثم *

﴿ أيها الولد ﴾ ينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقاً
للشرع اذ العلم والعمل بلا اقتداء الشرع ضلالة وينبغي لك أن لا
تغتر بالشطح وطامات الصوفية لان سلوك هذا الطريق يكون

بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة لا بالطامات
والترهات ﴿ واعلم ﴾ أن اللسان المطلق والقلب المطبق المملوء بالغفلة
والشهوة علامة الشقاوة حتى لا تقتل النفس بصدق المجاهـدة لن
يحيى قلبك بأنوار المعرفة ﴿ واعلم ﴾ بان بعض مسائلك التى سألتنى
عنها لا يستقيم جوابها بالكتابة والقول ان تبلغ تلك الحالة تعرف
ما هى والا فعلمها من المستحيلات لانها ذوقية وكل ما يكون ذوقياً
لا يستقيم وصفه بالقول كحلاوة الحلو ومرارة المر لا يعرف الا
بالذوق كما حكي ان عنينا كتب الى صاحب له ان عرفني لذة المجامعة
كيف تكون فكتب له في جوابه يا فلان انى كنت حسبتك عنينا
فقط — ألآن عرفت أنك عنين وأحمق — لان هذه اللذة ذوقية
إن تصل اليها تعرف والا لا يستقيم وصفها بالقول والكتابة *

﴿ أيها الولد ﴾ بعض مسائلك من هذا القبيل وأما البعض
الذى يستقيم له الجواب فقد ذكرناه في احياء العلوم وغيره ونذكر
ههنا نبذاً منه ونشير اليه فنقول : قد وجب على السالك أربعة
أمور * أول الامر اعتقاد صحيح لايكون فيه بدعة * والثانى توبة
نصوح لايرجع بعدها الى الزلة * والثالث استرضاء الخصوم حتى
لايبقى لأحد عليك حق * والرابع تحصيل علم الشريعة قدر ماتؤدى
به أوامر الله تعالى * ثم من العلوم الآخرة مايكون به النجاة *
حكي ان الشبلى رحمه الله خدم اربعمائة أستاذ وقال قرأت اربعة
آلاف حديث ثم اخترت منها حديثاً واحداً وعملت به وخليت

ماسواه لانى تأملته فوجدت خلاصى ونجاتى فيه وكان علم الاولين
والآخرين كله مندرجاً فيه فاكتفيت به وذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لبعض اصحابه ﴿ اعمل لدنياك بقدر مقامك
فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك اليه
واعمل للنار بقدر صبرك عليها ﴾

﴿ أيها الولد ﴾ اذا علمت هذا الحديث لاحاجة الى العلم الكثير
وتأمل في حكاية أخرى وذلك ان حاتم الاصم كان من أصحاب
الشقيق البلخي رحمة الله تعالى عليهما فسأله يوماً قال صاحبتني منذ
ثلاثين سنة ماحصلت فيها * قال حصلت ثماني فوائد من العلم وهى
تكفينى منه لانى أرجو خلاصى ونجاتى فيها فقال شقيق ماهي قال
حاتم الاصم ﴿ الفائدة الاولى ﴾ انى نظرت الى الخلق فرأيت لكل
منهم محبوباً ومعشوقاً يحبه ويعشقه وبعض ذلك المحبوب يصاحبه
الى مرض الموت وبعضه الى شفير القبر * ثم يرجع كله ويتركه فريداً
وحيداً ولايدخل معه فى قبره منهم أحد فتفكرت وقلت افضل
محبوب المرء مايدخل فى قبره ويؤانسه فيه فما وجدته غير الاعمال
الصالحة فاخذتها محبوباً لي لتكون سراجاً لي في قبري وتؤانسنى
فيه ولاتتركنى فريداً ﴿ الفائدة الثانية ﴾ انى رأيت الخلق يقتدون
بأهوائهم ويبادرون الى مرادات أنفسهم فتأملت قوله تعالى ﴿ وأما
من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ﴾
وتيقنت ان القرآن حق صادق فبادرت الى خلاف نفسى وتشمرت

بمجاهدتها ومامتعتها بهواها حتى رضيت بطاعة الله سبحانه وتعالى وانقادت ﴿الفائدة الثالثة﴾ انى رأيت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكها قابضاً يده عليه فتأملت فى قوله تعالى ﴿ ماعندكم ينفد وماعند الله باق ﴾ فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لى عند الله تعالى ﴿ الفائدة الرابعة ﴾ انى رأيت بعض الخلق ظن شرفه وعزه في كثرة الاقوام والعشائر فاغتر بهم ٭ وزعم آخرون انه في ثروة الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا بها ٭ وحسب بعضهم الشرف والعز فى غصب أموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم ٭ واعتقدت طائفة انه في اتلاف المال واسرافه وتبذيره وتأملت في قوله تعالى ﴿ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ فاخترت التقوى واعتقدت ان القرآن حق صادق وظنهم وحسبانهم كلها باطل زائل ﴿ والفائدة الخامسة ﴾ انى رأيت الناس يذم بعضهم بعضاً ويغتاب بعضهم بعضاً فوجدت ذلك من الحسد فى المال والجاه والعلم فتأملت في قوله تعالى ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ فعلمت ان القسمة كانت من الله تعالى في الازل فما حسدت أحداً ورضيت بقسمة الله تعالى ﴿الفائدة السادسة﴾ انى رأيت الناس يعادى بعضهم بعضاً لغرض وسبب فتأملت قوله تعالى ﴿ ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ﴾ علمت انه لايجوز عداوة أحد غير الشيطان ﴿ والفائدة السابعة ﴾ اني رأيت كل أحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش

بحيث يقع به في شبهة وحرام ويذل نفسه وينقص قدره فتأملت في قوله تعالى ﴿ ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها ﴾ فعلمت ان رزقى على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عمن سواه ﴿ الفائدة الثامنة ﴾ اني رأيت كل واحد معتمداً الى شيء مخلوق بعضهم الى الدنيا والدرهم وبعضهم الى المال والملك وبعضهم الى الحرفة والصناعة وبعضهم الى مخلوق مثله فتأملت في قوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل فقال شقيق وفقك الله تعالى ٭ انى قد نظرت التوراة والانجيل والزبور والفرقان فوجدت الكتب الاربعة تدور على هذه الفوائد الثمانية فمن عمل بها كان عاملا بهذه الكتب الاربعة ٭

﴿أيها الولد﴾ قد علمت من هاتين الحكايتين انك لا تحتاج إلى تكثير العلم والآن أبين لك ما يجب على سالك سبيل الحق ﴿فاعلم﴾ أنه ينبغى للسالك شيخ مرشد مربى ليخرج الاخلاق السيئة منه بتربيته ويجعل مكانها خلقا حسنا ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه ولابد للسالك من شيخ يؤدبه ويرشده الى سبيل الله تعالى لان الله أرسل للعباد رسولا للارشاد الى سبيله فاذا ارتحل صلى الله عليه وسلم قد خلف الخلفاء في مكانه حتى يرشدوا الى الله تعالى ٭ وشرط الشيخ الذي يصلح أن يكون نائبا لرسول الله صلوات الله

وسلامه عليه أن يكون عالما ولكن لا كل عالم يصلح للخلافة * واني
أبين لك بعض علامته على سبيل الاجمال حتى لا يدعى كل أحد أنه
مرشد فنقول من يعرض عن حب الدنيا وحب الجاه وكان قد تابع
اشخص بصير يتسلسل متابعته الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم
وكان محتسنا رياضة نفسه من قلة الاكل والقول والنوم وكثرة
الصلوات والصدقة والصوم وكان بمتابعته الشيخ البصير جاعلا
محاسن الاخلاق له سيرة كالصبر والصلاة والشكر والتوكل واليقين
والقناعة وطمأنينة النفس والحلم والتواضع والعلم والصدق والحياء
والوفاء والوقار والسكون والتأني وأمثالها فهو اذا نور من أنوار
النبي صلى الله عليه وسلم يصلح للاقتداء به ولكن وجود مثله نادر أعز
من الكبريت الاحمر ومن ساعدته السعادة فوجد شيخا كما ذكرنا
وقبله الشيخ ينبغي أن يحترمه ظاهراً وباطنا * أما احترام الظاهر
فهو أن لا يجادله ولا يشتغل بالاحتجاج معه في كل مسئلة وان علم
خطاءه ولا يلقي بين يديه سجادته الا وقت أداء الصلاة فاذا فرغ
يرفعها ولا يكثر نوافل الصلاة بحضرته ويعمل ما يأمره الشيخ
من العمل بقدر وسعه وطاقته * وأما احترام الباطن فهو أن كل
ما يسمع ويقبل منه في الظاهر لا ينكره في الباطن لا فعلا ولا قولا
لئلا يتسم بالنفاق * وان لم يستطع يترك صحبته الى أن يوافق باطنه
ظاهره * ويحترز عن مجالسة صاحب السوء ليقصر ولاية شياطين
الجن والانس من صحن قلبه فيصفى عن لوث الشيطنة * وعلى كل

حال يختار الفقر على الغنى ﴿ثم اعلم﴾ أن التصوف له خصلتان
الاستقامة والسكون عن الخلق فمن استقام وأحسن خلقه بالناس
وعاملهم بالحلم فهو صوفي والاستقامة أن يفدى حظ نفسه لنفسه *
وحسن الخلق مع الناس أن لا تحمل الناس على مراد مراد نفسك
بل تحمل نفسك على مرادهم مالم يخالفوا الشرع * ثم انك سألتني
عن العبودية وهي ثلاثة أشياء ﴿أحدها﴾ محافظة أمر الشرع
﴿وثانيها﴾ الرضاء بالقضاء والقدر وقسمة الله تعالى ﴿وثالثها﴾ ترك
رضاء نفسك في طلب رضاء الله تعالى * وسألتني عن التوكل هو
أن تستحكم اعتقادك بالله تعالى فيما وعد يعني تعتقد أن ما قدر لك
سيصل اليك لا محالة وان اجتهد كل من في العالم على صرفه
عنك ومالم يكتب لن يصل اليك وان ساعدك جميع العالم *
وسألتني عن الاخلاص وهو أن تكون أعمالك كلها لله تعالى ولا
يرتاح قلبك بمحامد الناس ولا تبالى بمذمتهم ﴿واعلم﴾ أن الرياء
يتولد من تعظيم الخلق وعلاجه أن تراهم مسخرين تحت القدرة
وتحسبهم كالجمادات في عدم قدرة ايصال الراحة والمشقة لتخلص
من مراياتهم * ومتى تحسبهم ذوى قدرة وارادة لن يبعد عنك
الرياء *

﴿أيها الولد﴾ والباقي من مسائلك بعضها مسطور في
مصنفاتي فاطلبه ثمة وكتابة بعضها حرام اعمل أنت بما تعلم لينكشف
لك مالم تعلم *

﴿أيها الولد﴾ بعد اليوم لا تسألني ما أشكل عليك الا بلسان
الجنان قوله تعالى (ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم)
واقبل نصيحة الخضر عليه السلام حين قال (فلا تسألني عن شيء
حتى أحدث لك منه ذكرا ولا تستعجل حتى تبلغ أو انه يكشف
لك وتراه سأريكم آياتي فلا تستعجلون) فلا تسألني قبل الوقت
وتيقن أنك لا تصل الا بالسير لقوله تعالى (أولم يسيروا في
الارض فينظروا) *

﴿أيها الولد﴾ بالله إن تسر ترى العجائب في كل منزل وابذل
روحك فان رأس هذا الامر بذل الروح كما قال ذو النون المصرى
رحمه الله تعالى لاحد من تلامذته ان قدرت على بذل الروح فتعال
والا فلا تشتغل بالترهات الصوفية *

﴿أيها الولد﴾ انى أنصحك بثمانية أشياء أقبلها منى لئلا يكون
علمك خصما عليك يوم القيامة تعمل منها أربعة وتدع منها أربعة *
أما اللواتى تدع ﴿أحدها﴾ أن لا تناظر أحداً فى مسئلة ما استطعت
لان فيها آفات كثيرة فاثمها اكبر من نفعها إذ هى منبع كل خلق
ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها *
نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم وكانت ارادتك فيها
أن تظهر الحق ولا يضيع جاز البحث لكن لتلك الارادة علامتان
﴿احداهما﴾ أن لا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو
على لسان غيرك ﴿والثانية﴾ أن يكون البحث فى الخلاء أحب

اليك من أن يكون في الملأ واسمع اني أذكر لك ههنا فائدة ﴿واعلم﴾
أن السؤال عن المشكلات عرض مرض القلب الى الطبيب والجواب
له سعى لاصلاح مرضه ﴿واعلم﴾ أن الجاهلين المرضى قلوبهم
والعلماء الاطباء والعالم الناقص لا يحسن المعالجة والعالم الكامل لا
يعالج كل مريض بل يعالج من يرجو فيه قبول المعالجة والصلاح
واذا كانت العلة مزمنة أو عقيما لا تقبل العلاج فحذاقة الطبيب فيه
أن يقول هذا لا يقبل العلاج فلا تشتغل فيه بمداواته لان فيه
تضييع العمر ﴿ثم اعلم﴾ أن مرض الجهل على أربعة أنواع ﴿أحدها﴾
يقبل العلاج والباقي لا يقبل أما الذي لا يقبل ﴿احدها﴾
من كان سؤاله واعتراضه عن حسده وبغضه فكلما تجيبه باحسن
الجواب وأفصحه وأوضحه فلا يزيد له ذلك الا بغضا وعداوة
وحسداً فالطريق أن لا تشتغل بجوابه فقد قيل *

﴿كل العداوة قد ترجى ازالتها * الا عداوة من عاداك عن حسد﴾

فينبغي أن تعرض عنه وتتركه مع مرضه * قال الله تعالى
﴿فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا﴾ والحسود
بكل ما يقول ويفعل يوقد النار في زرع علمه * الحسد يأكل الحسنات
كما تأكل النار الحطب ﴿والثاني﴾ أن تكون علته من الحماقة وهو
أيضا لا يقبل العلاج كما قال عيسى عليه السلام اني ما عجزت عن
احياء الموتى وقد عجزت عن معالجة الاحمق وذلك رجل يشتغل
بطلب العلم زمنا قليلا ويتعلم شيئا من العلوم العقلى والشرعي فيسأل

ويعترض من حماقته على العالم الكبير الذي مضى عمره في العـلوم
العقلى والشرعي وهذا الاحمق لا يعلم ويظن أن ما أشكل عليـه
هو أيضا مشكل للعالم الكبير فاذا لم يعلم هذا القدر يكون سؤاله
من الحماقة * فينبغي أن لا يشتغل بجوابه ﴿ والثالث ﴾ أن يكون
مسترشداً وكل ما لا يفهم من كلام الاكابر يحمل على قصور فهمه
وكان سؤاله للاستفادة لكن يكون بليداً لا يدرك الحقائق فلا ينبغي
الاشتغال بجوابه أيضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «نحن
معاشر الانبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » * وأما
المرض الذى يقبل العـلاج فهو أن يكون مسترشداً عاقلا فهما لا
يكون مغلوب الحسد والغضب وحب الشهوة والجاه والمال ويكون
طالب طريق المستقيم ولم يكن سؤاله واعتراضه عن حسد وتعنت
وامتحان وهذا يقبل العـلاج فيجوز أن تشتغل بجواب سؤاله بل
يجب عليك اجابته * والثاني مما تدع وهو ان تحذر وتحرز من أن
تكون واعظا ومذكراً لان فيه آفة كثيرة الا ان تعمل بما تقول
أولا ثم تعظ به الناس فتفكر فيما قيل لعيسى عليه السلام يا ابن مريم
عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي ربك وأن ابتليت
بهذا العمل فاحترز عن خصلتين ﴿ الاولى ﴾ عن التكلف في الكلام
بالعبارات والاشارات والطامات والابيات والاشعار لان الله تعالى
يبغض المتكلفين والمتكلف المتجاوز عن الحد يدل على خراب الباطن
وغفلة القلب * ومعنى التذكير أن يذكر العبد نار الآخرة وتقصير

نفسه في خدمة الخالق ويتفكر في عمره الماضي الذى أفناه فيما لا يعنيه
ويتفكر فيما بين يديه من العقبات من عدم سلامة الايمان في الخاتمة
وكيفية حاله فى قبض ملك الموت وهل يقـدر على جواب منكر
ونكير ويهتم بحاله فى القيامة ومواقفها وهل يعبر عن الصراط
سالمًا أم يقع في الهاوية ويستمر ذكر هذه الاشياء في قلبه فيزعجه
عن قراره فغليان هذه النيران ونوحة هذه المصائب يسمى تذكيراً
واعلام الخلق واطلاعهم على هذه الاشياء وتنبيههم على تقصيرهم
وتفريطهم وتبصيرهم بعيوب أنفسهم لتمس حرارة هذه النيران اهل
المجلس وتجزعهم تلك المصائب ليتداركوا العمر الماضى بقدر الطاقة
ويتحسروا على الايام الخالية في غير طاعة الله تعالى * هذه الجملة
على هذا الطريق يسمى وعظاً كما لو رأيت ان السيل قد هجم على
دار أحد وكان هو وأهله فيها فتقول الحذر الحذر فروا من السيل
وهل يشتهي قلبك فى هذه الحالة أن تخبر صاحب الدار خبرك
بتكلف العبارات والنكت والاشارات فلا تشتهي البتة فكذلك
حال الواعظ فينبغي أن يجتنبها ﴿ والخصلة الثانية ﴾ أن لا تكون
همتك في وعظك ان ينفر الخلق فى مجلسك ويظهروا الوجد ويشقوا
الثياب ليقال نعم المجلس هذا لان كله ميل للدنيا وهو يتولد من
الغفلة بل ينبغي ان يكون عزمك وهمتك ان تدعو الناس من الدنيا
الى الآخرة ومن المعصية الى الطاعة ومن الحرص الى الزهد ومن
البخل الى السخاء ومن الغرور الى التقوى وتحبب اليهم الآخرة

وتبغض اليهم الدنيا وتعلمهم علم العبادة والزهد لان الغالب في
طباعهم الزيغ عن منهج الشرع والسعي فيما لايرضى الله تعالى به
والاستعثار بالاخلاق الردية فالق فيقلوبهم الرعب وروعهم وحذرهم
عما يستقبلون من المخاوف ولعل صفات باطنهم تتغير ومعاملة
ظاهرهم تتبدل ويتظهروا الحرص والرغبة فى الطاعة والرجوع عن
المعصية وهذا طريق الوعظ والنصيحة وكل وعظ لايكون هكذا
فهو وبال على من قال ويسمع بل قيل انه غول وشيطان يذهب
بالخلق عن الطريق ويهلكهم فيجب عليهم أن يفروا منه لان مايفيد
هذا القائل من دينهم لايستطيع بمثله الشيطان ومن كانت له يد
وقدرة يجب عليه أن ينزله عن منابر المواعظ ويمنعه عما باشر فانه
من جملة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿ والثالث ﴾ مما تدع
انه لاتخالط الامراء والسلاطين ولاتراهم لأن رؤيتهم ومجالستهم
ومخالطتهم آفة عظيمة ولو ابتليت بها دع عنك مدحهم
وثناءهم لان الله تعالى يغضب اذا مدح الفاسق والظالم ومن
دعا لطول بقائهم فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه ﴿ والرابع ﴾
مما تدع أن لاتقبل شيئا من عطاء الامراء وهداياهم وإن علمت أنها
من الحلال لان الطمع منهم يفسد الدين لانه يتولد منه المداهنة
ومراعاة جانبهم والموافقة في ظلمهم وهذا كله فساد في الدين وأقل
مضرته انك اذا قبلت عطاياهم وانتفعت من دنياهم أحببتهم ومن
أحب أحدا يحب طول عمره وبقائه بالضرورة وفي محبة بقاء الظالم

ارادة فى الظلم على عباد الله تعالى وارادة خراب العالم فأى شى يكون
أضر من هذا الدين والعاقبة وإياك وإياك أن يخدعك استهواء
الشياطين أو قول بعض الناس لك بأن الافضل والاولى أن تاخذ
الدينار والدرهم منهم وتفرقها بين الفقراء والمساكين فانهم ينفقون
في الفسق والمعصية وانفاقك على ضعفاء الناس خير من انفاقهم فان
اللعين قد قطع أعناق كثير من الناس بهذه الوسوسة وقد ذكرناه في احياء
العلوم فاطلبه ثم * وأما الاربعة التى ينبغي لك أن تفعلها ﴿ الاول ﴾
أن تجعل معاملتك مع الله تعالى بحيث لو عامل معك بها عبدك
ترضى بها منه ولا يضيق خاطرك عليه ولاتغضب والذى لا ترضى
لنفسك من عبدك المجازى فلا ترضى أيضا لله تعالى وهو سيدك
الحقيقي ﴿ والثانى ﴾ كلما عملت بالناس اجعله كما ترضى
لنفسك منهم لانه لايكمل ايمان عبد حتى يحب لسائر الناس
ما يحب لنفسه ﴿ والثالث ﴾ اذا قرأت العلم أو طالعته ينبغي أن
يكون علمك يصلح قلبك ويزكى نفسك كما لو علمت أن عمرك ما يبقى
غير أسبوع فبالضرورة لاتشتغل فيها بعلم الفقه والاخلاق
والاصول والكلام وأمثالها لانك تعلم أن هذه العلوم لا تغنيك
بل تشتغل بمراقبة القلب ومعرفة صفات النفس والاعراض
عن علائق الدنيا وتزكى نفسك عن الاخلاق الذميمة وتشتغل
بمحبة الله تعالى وعبادته والاتصاف بالاوصاف الحسنة ولا يمر على
عبد يوم وليلة الا ويمكن أن يكون موته فيه *

﴿ أيها الولد ﴾ اسمع مني كلاماً آخر وتفكر فيه حتى تجد خلاصاً * لو انك أخبرت أن السلطان بعد أسبوع يختارك وزيراً ﴿ اعلم ﴾ أنك في تلك المدة لاتشتغل الا باصلاح ماعلمت ان نظر السلطان سيقع عليه من الثياب والبدن والدار والفراش وغيرها والآن تفكر الى ما أشرت به فانك فهم والكلام الفرد يكفي * أليس قال رسول الله عليه السلام ان الله لاينظر الى صوركم ولا الى أعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم * وان اردت علم احوال القلب فانظر الى الاحياء وغيره من مصنفاتي وهذا العلم فرض عين وغيره فرض كفاية إلا مقدار مايؤدى به فرائض الله تعالى وهو يوفقك حتى تحصله ﴿ والرابع ﴾ أن لاتجمع من الدنيا أكثر من كفاية سنة كما كان رسول الله عليه السلام يعد ذلك لبعض حجراته وقال اللهم اجعل قوت آل محمد كفافاً ولم يكن يعد ذلك لكل حجراته بل كان يعده لمن علم ان في قلبها ضعفاً وأما من كانت صاحبة يقين ما كان يعد لها اكثر من قوت يوم ونصف *

﴿ أيها الولد ﴾ انى كتبت فى هذا الفصل ملتمساتك فينبغي لك أن تعمل بها ولاتنسانى فيه من أن تذكرنى في صالح دعائك * وأما الدعاء الذى سألت منى فاطلبه من دعوات الصحاح واقرأ هذا الدعاء في اوقاتك خصوصاً أعقاب صلواتك * اللهم انى اسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها ومن العيش ارغده ومن العمر اسعده ومن الاحسان

أتمه ومن الانعام أعمه ومن الفضل أعذبه ومن اللطف أقربه * اللهم كن لنا ولا تكن علينا * اللهم اختم بالسعادة آجالنا وحقق بالزيادة آمالنا واقرن بالعافية غدونا وآصالنا واجعل الى رحمتك مصيرنا ومآلنا واصبب سجال عفوك على ذنوبنا ومنّ علينا باصلاح عيوبنا واجعل التقوى زادنا وفي دينك اجتهادنا وعليك توكلنا واعتمادنا * اللهم ثبتنا على نهج الاستقامة وأعذنا في الدنيا من موجبات الندامة يوم القيامة وخفف عنا ثقل الاوزار وارزقنا عيشة الابرار واكفنا واصرف عنا شر الاشرار واعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأخواتنا من النار برحمتك يا عزيز يا غفار يا كريم يا ستار يا عليم يا جبار يا الله يا الله يا الله برحمتك يا أرحم

الراحمين ويا أول الاولين ويا آخر الآخرين ويا ذا
القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين
لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من
الظالمين * وصلى الله على سيدنا محمد
وآله وصحبه أجمعين * والحمد لله
رب العالمين



﴿ تمت رسالة أيها الولد ويليها « فيصل التفرقة » للامام الغزالي ﴾

الرسالة الثالثة

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة

للامام الهمام حجة الاسلام

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

« عليه الرحمة »

طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة

محيي الدين صبري الكردي

المطبعة العربية بمصر لصاحبها خير الدين الزركلي



قال الامام العالم العامل أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمة الله عليه : أحمد الله تعالى استسلاماً لعزته . واستتماما لنعمته . واستغناما لتوفيقه ومعونته وطاعته . واستعصاماً من خذلانه ومعصيته . واستدراراً لسوابغ نعمته . وأصلي على محمد عبده ورسوله وخير خليقته . انقياداً لنبوته . واستجلابا لشفاعته . وقضاء لحق رسالته . واعتصاما بيمن سريرته ونقيبته . وعلى آله وأصحابه وعترته « أما بعد » فاني رأيتك أيها الاخ المشفق والصديق المتعصب موغر الصدر . منقسم الفكر . لما قرع سمعك من طعن طائفة من الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين . وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب الاصحاب المتقدمين . والمشايخ المتكلمين . وان العدول عن مذهب الاشعري ولو في قيد شبر كفر ومباينته ولو في شيء نزر ضلال وخسر . فهوّن أيها الاخ المشفق المتعصب على نفسك . لا تضيق به

صدرك . وقل من غربك قليلا . واصبر على ما يقولون واهجرهم
هجراً جميلا . واستحقر من لا يحسد ولا يقذف واستصغر
من بالكفر أو الضلال لا يعرف . فأى داع أكمل وأعقل من سيد
المرسلين صلى الله تعالى عليه وسلم وقد قالوا انه مجنون من المجانين . وأى
كلام أجل وأصدق من كلام رب العالمين . وقد قالوا انه أساطير
الاولين . وإياك أن تشتغل بخصامهم وتطمع في أفحامهم . فتطمع في
غير مطمع . وتصوت في غير مسمع . أما سمعت ما قيل

كل العداوة قد ترجى سلامتها * الا عداوة من عاداك عن حسد

ولو كان فيه مطمع لأحد من الناس . لما تلى على أجلهم رتبة
آيات اليأس . أو ما سمعت قوله تعالى (وان كان كبر عليك
اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقاً في الارض أو سلماً في السماء
فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين)
وقوله تعالى (ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون
لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقوله تعالى
(ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين
كفروا ان هذا الا سحر مبين) وقوله تعالى (ولو أننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا
الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) واعلم أن حقيقة الكفر
والايمان وحدهما والحق والضلال وسرهما . لا ينجلي للقلوب المدنسة
بطلب الجاه والمال وحبهما . بل انما ينكشف ذلك لقلوب طهرت

عن وسخ أوضار الدنيا أولا ثم صقلت بالرياضة الكاملة ثانيا ثم
نورت بالذكر الصافي ثالثا ثم غذيت بالفكر الصائب رابعا ثم زينت
بملازمة حدود الشرع خامساً حتى فاض عليها النور من مشكاة النبوة .
وصارت كأنها مرآة مجلوة . وصار مصباح الايمان فى زجاجة قلبه
مشرق الانوار . يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار * وأنى تتجلى
أسرار الملكوت لقوم إلههم هواهم . ومعبودهم سلاطينهم . وقبلتهم
دراهمهم ودنانيرهم . وشريعتهم رعونتهم . وارادتهم جاههم وشهواتهم
وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم . وذكرهم وساوسهم . وكنزهم سواسهم .
وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم * فهؤلاء من أين تتميز
لهم ظلمة الكفر من ضياء الايمان . أبالهام الهي ولم يفرغوا القلوب
عن كدورات الدنيا لقبولها . أم بكمال علمي وانما بضاعتهم فى العلم مسألة
النجاسة وماء الزعفران وأمثالهما هيهات هيهات هذا المطلب أنفس
وأعز من أن يدرك بالمنى . أو ينال بالهوينا . فاشتغل أنت بشأنك
ولا تضيع فيهم بقية زمانك . وأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد
الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن
سبيله وهو أعلم بمن اهتدى *

فصل

فأما أنت ان أردت أن تنتزع هذه الحسكة من صدرك .
وصدر من هو فى حالك . ممن لا تحركه غواية الحسود . ولا تقيده

عماية التقليد . بل تعطشه الى الاستبصار لحزازة اشكال أثارها
فكر . وهيجها نظر * فخاطب نفسك وصاحبك وطالبه بحد الكفر
فان زعم أن حد الكفر ما يخالف مذهب الاشعرى أو مذهب
المعتزلى أو مذهب الحنبلى أوغيرهم فاعلم انه غر بليد . قد قيده التقليد
فهو أعمى من العميان . فلا تضيع باصلاحه الزمان * وناهيك حجة
في افحامه . مقابلة دعواه بدعوى خصومه . اذ لا يجد بين نفسه
وبين سائر المقلدين المخالفين له فرقاً وفصلاً . ولعل صاحبه يميل من
بين سائر المذاهب الى الاشعرى . ويزعم أن مخالفته في كل ورد
وصدر كفر من الكفر الجلى فاسأله من أين ثبت له أن كون الحق وقفاً
عليه حتى قضى بكفر الباقلانى اذ خالفه في صفة البقاء لله تعالى وزعم
أنه ليس هو وصفاً لله تعالى زائداً على الذات ولم صار الباقلانى أولى
بالكفر بمخالفته الاشعرى من الاشعري بمخالفته الباقلانى . ولم صار الحق
وقفاً على أحدهما دون الثاني * أكان ذلك لاجل السبق في الزمان فقد سبق
الاشعرى غيره من المعتزلة فليكن الحق للسابق عليه . أم لاجل التفاوت
في الفضل والعلم . فبأى ميزان ومكيال قدر درجات الفضل حتى لاح
له أن لا أفضل في الوجود من متبوعه ومقلده * فان رخص للباقلانى
في مخالفته فلم حجر على غيره . وما الفرق بين الباقلاني والكرابيسي
والقلانسي وغيرهم . وما مدرك التخصيص بهذه الرخصة وان زعم
أن خلاف الباقلانى يرجع الى لفظ لا تحقيق وراءه كما تعسف
بتكلفه بعض المتعصبين زاعماً أنهما جميعاً متوافقان على دوام الوجود

والخلاف في أن ذلك يرجع الى الذات أو الى وصف زائد عليه
خلاف قريب لا يوجب التشديد فما باله يشدد القول على المعتزلي
في نفيه الصفات وهو معترف بأن الله تعالى عالم محيط بجميع المعلومات
قادر على جميع الممكنات وانما يخالف الاشعرى في أنه عالم وقادر
بالذات أو بصفة زائدة فما الفرق بين الخلافين وأى مطلب أجل
وأخطر من صفات الحق سبحانه وتعالى في النظر في نفيها واثباتها
فان قال انما اكفر المعتزلي لانه يزعم أن الذات الواحدة تصدر
منها فائدة العلم والقدرة والحياة وهذه صفات مختلفة بالحد والحقيقة
والحقائق المختلفة يستحيل أن توصف بالاتحاد أو تقوم مقامها الذات
الواحدة فما باله لا يستبعد من الاشعرى قوله أن الكلام صفة زائدة
قائمة بذات الله تعالى ومع كونه واحداً هو توراة وانجيل وزبور
وقرآن وهو أمر ونهى وخبر واستخبار وهذه حقائق مختلفة وكيف
لا وحد الخبر ما يتطرق اليه التصديق والتكذيب ولا يتطرق ذلك
الى الامر والنهي فكيف تكون حقيقة واحدة يتطرق اليها التصديق
والتكذيب ولا يتطرق فيجتمع النفى والاثبات على شىء واحد فان
تخبط فى جواب هذا أو عجز عن كشف الغطاء فيه فاعلم أنه ليس
من أهل النظر وانما هو مقلد وشرط المقلد أن يسكت ويسكت عنه
لانه قاصر عن سلوك طريق الحجاج ولو كان أهلاً له كان مستتبعاً
لا تابعاً واماماً لا مأموماً فان خاض المقلد في المحاجة فذلك منه
فضول والمشتغل به صار كضارب في حديد بارد وطالب لصلاح

الفاسد — وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر — ولعلك ان انصفت
علمت أن من جعل الحق وقفاً على واحد من النظار بعينه فهو
الى الكفر والتناقض أقرب أمّا الكفر فلأنه نزله منزلة النبي المعصوم
من الزلل الذي لا يثبت الايمان الا بموافقته ولا يلزم الكفر الا
بمخالفته وأما التناقض فهو ان كل واحد من النظار يوجب النظر
وان لا ترى في نظرك الا ما رأيت وكل ما رأيته حجة واى فرق
بين من يقول قلدني فى مجرد مذهبي وبين من يقول قلدني في مذهبي
ودليلي جميعاً وهل هذا الا التناقض

فصل

لعلك تشتهي أن تعرف حدّ الكفر بعد أن تتناقض عليك
حدود أصناف المقلدين فاعلم أن شرح ذلك طويل ومدركه غامض
ولكني أعطيك علامة صحيحة فتطّردها وتعكسها لتتخذها مطمح
نظرك وترعوي بسببها عن تكفير الفرق وتطويل اللسان فى أهل
الاسلام وان اختلفت طرقهم ما داموا متمسكين بقول لا إله الا الله
محمد رسول الله صادقين بها غير مناقضين لها فأقول :
الكفر هو تكذيب الرسول عليه الصلاة والسلام في شيء مما
جاء به والايمان تصديقه فى جميع ما جاء به فاليهودى والنصرانى
كافران لتكذيبهما للرسول عليه الصلاة والسلام والبرهمي كافر
بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا سائر المرسلين والدهرى كافر

بالطريق الاولى لانه أنكر مع رسولنا المرسل سائر الرسل وهذا
لأن الكفر حكم شرعي كالرق والحرية مثلا معناه إباحة الدم
والحكم بالخلود في النار ومدركه شرعي فيدرك إما بنص وإما
بقياس على منصوص وقد وردت النصوص فى اليهود والنصارى
والتحق بهم بالطريق الاولى البراهمة والثنوية والزنادقة والدهرية
وكلهم مشركون فانهم مكذبون للرسول فكل كافر مكذب للرسول
وكل مكذب فهو كافر فهذه هي العلامة المطردة المنعكسة

فصل

اعلم انّ الّذي ذكرناه مع ظهوره تحته غور بل تحته كلّ الغور
لان كلّ فرقة تكفّر مخالفها وتنسبه الى تكذيب الرسول عليه الصلاة
والسلام فالحنبلي يكفّر الاشعرى زاعماً أنه كذّب الرسول فى اثبات
الفوق لله تعالى وفى الاستواء على العرش. والاشعرى يكفّره زاعماً
انه مشبّه وكذّب الرسول في أنه ليس كمثله شيء . والاشعرى يكفر
المعتزلي زاعمًا أنه كذب الرسول فى جواز رؤية الله تعالى وفي اثبات
العلم والقدرة والصفات له. والمعتزلي يكفّر الاشعرى زاعماً أن اثبات
الصفات تكثير للقدماء وتكذيب للرسول في التوحيد ولا ينجيك
من هذه الورطة الا ان تعرف حدّ التكذيب والتصديق وحقيقتهما
فيه فينكشف لك غلوّ هذه الفرق واسرافها فى تكفير بعضها بعضاً
فاقول التصديق انما يتطرّق الى الخبر بل الى المخبر وحقيقته

الاعتراف بوجود ما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجوده
الا أن للوجود خمس مراتب ولاجل الغفلة عنها نسبت كل فرقة
مخالفها الى التكذيب فان الوجود ذاتى وحسى وخيالى وعقلى
وشبهي فمن اعترف بوجود ما أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام
عن وجوده بوجه من هذه الوجوه الخمسة فليس بمكذب على الاطلاق
فلنشرح هذه الاصناف الخمسة ولنذكر مثالها فى التأويلات

أما الوجود الذاتى فهو الوجود الحقيقي الثابت خارج الحس
والعقل ولكن يأخذ الحس والعقل عنه صورة فيسمي أخذه ادراكا
وهذا كوجود السموات والارض والحيوان والنبات وهو ظاهر
بل هو المعروف الذى لا يعرف الاكثرون للوجود معنى سواه

وأما الوجود الحسي فهو ما يتمثل في القوة الباصرة من العين
مما لا وجود له خارج العين فيكون موجوداً فى الحس ويختص به
الحاس ولا يشاركه غيره وذلك كما يشاهده النائم بل كما يشاهده
المريض المتيقظ إذ قد تتمثل له صورة ولا وجود لها خارج حسه
حتى يشاهدها كما يشاهد سائر الموجودات الخارجة عن حسه بل قد
تتمثل للانبياء والاولياء في اليقظة والصحة صورة جميلة محاكية
لجواهر الملائكة وينتهي اليهم الوحي والالهام بواسطتها فيتلقون
من أمر الغيب في اليقظة ما يتلقاه غيرهم فى النوم وذلك لشدة صفاء
باطنهم كما قال تعالى (فتمثل لها بشراً سويا) وكما انه عليه الصلاة
والسلام رأى جبريل عليه السلام كثيراً ولكن ما رآه في صورته

الا مرتين وكان يراه في صور مختلفة يتمثل بها وكما يري رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى المنام وقد قال « من رآنى في النوم فقد رآنى
حقاً فان الشيطان لا يتمثل بى » ولا تكون رؤيته بمعنى انتقال شخصه
من روضة المدينة الي موضع النائم بل هي على سبيل وجود صورته
في حس النائم فقط وسبب ذلك وسره طويل وقد شرحناه في بعض
الكتب فان كنت لا تصدق به فصدق عينك فانك تأخذ قبساً من
نار كأنه نقطة ثم تحركه بسرعة حركة مستقيمة فتراه خطا من نار
وتحركه حركة مستديرة فتراه دائرة من نار والدائرة والخط مشاهدان
وهما موجودان في حسك لا في الخارج عن حسك لان الموجود
فى الخارج هى نقطة في كل حال وانما تصير خطا فى أوقات متعاقبة
فلا يكون الخط موجوداً فى حالة واحدة وهو ثابت في مشاهدتك
فى حالة واحدة

وأما الوجود الخيالى فهو صورة هذه المحسوسات اذا غابت
عن حسك فانك تقدر على ان تخترع فى خيالك صورة فيل وفرس
وان كنت مغمضاً عينيك حتى كأنك تشاهده وهو موجود بكمال
صورته فى دماغك لا فى الخارج

وأما الوجود العقلى فهو أن يكون للشيء روح وحقيقة ومعنى
فيتلقى العقل مجرد معناه دون أن يثبت صورته فى خيال أو حس
أو خارج كاليد مثلا فان لها صورة محسوسة ومتخيلة ولها معنى هو
حقيقتها وهى القدرة على البطش والقدرة على البطش هى اليد العقلية

وللقلم صورة ولكن حقيقته ما تنقش به العلوم وهـذا يتلقاه العقل
من غير أن يكون مقرونا بصورة قصب وخشب وغير ذلك من
الصور الخيالية والحسية

وأما الوجود الشبهى فهو أن لا يكون نفس الشىء موجوداً
لا بصورته ولا بحقيقته لا في الخارج ولا فى الحس ولا فى الخيال
ولا فى العقل ولكن يكون الموجود شيئاً آخر يشبهـه فى خاصة من
خواصه وصفة من صفاته وستفهم هذا اذا ذكرت لك مثاله فى
التأويلات فهذه مراتب وجود الاشياء

فصل

اسمع الآن أمثلة هذه الدرجات فى التأويلات * أما الوجود
الذاتي فلا يحتاج الى مثال وهو الذى يجرى على الظاهر ولا يتأول
وهو الوجود المطلق الحقيقى وذلك كاخبار الرسول صلى الله عليه
وسلم عن العرش والكرسي والسموات السبع فانه يجري على ظاهره
ولا يتأول إذ هـذه أجسام موجودة فى أنفسها أدركت بالحس
والخيال أو لم تدرك

وأما الوجود الحسى فامثلته فى التأويلات كثيرة وأقنع منهـا
بمثالين :

أحدهما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم
القيامة فى صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار» فان من قام

عنده البرهان على ان الموت عرض أو عدم عرض وأن قلب العرض
جسما مستحيل غير مقدور ينزل الخبر على ان أهل القيامة يشاهدون
ذلك ويعتقدون انه الموت ويكون ذلك موجوداً في حسهم لا فى
الخارج ويكون سببا لحصول اليقين باليأس عن الموت بعد ذلك
إذ المذبوح ميؤس منه ومن لم يقم عنده هذا البرهان فعساه يعتقد
أن نفس الموت ينقلب كبشاً فى ذاته ويذبح

المثال الثاني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرضت على
الجنة في عرض هذا الحائط» فمن قام عنده البرهان على أن الاجسام
لا تتداخل وان الصغير لا يسع الكبير حمل ذلك على أن نفس الجنة
لم تنتقل الى الحائط لكن تمثل للحس صورتها في الحائط حتى كأنه
يشاهدها ولا يمتنع ان يشاهد مثال شيء كبير في جرم صغير كما
تشاهد السماء فى مرآة صغيرة ويكون ذلك إبصاراً مفارقا لمجرد تخيل
صورة الجنة إذ تدرك التفرقة بين أن ترى صورة السماء في المرآة وبين
أن تغمض عينيك فتدرك صورة السماء في المرآة على سبيل التخيل

وأما الوجود الخيالى فمثاله قوله صلى الله عليه وسلم «كأنى أنظر
الى يونس بن متى عليه عباتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله
تعالى يقول له لبيك يا يونس» والظاهر أن هذا انباء عن تمثيل
الصورة في خياله اذ كان وجود هذه الحالة سابقاً على وجود رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد انعدم ذلك فلم يكن موجوداً في الحال
ولا يبعد أن يقال أيضاً تمثل هـذا فى حسه حتي صار يشاهده كما

يشاهد النائم الصور ولكن قوله كأني أنظر يشعر بانه لم يكن حقيقة النظر بل كالنظر والغرض التفهيم بالمثال لاعين هذه الصورة وعلى الجملة فكل ما يتمثل في محل الخيال فيتصور أن يتمثل في محل الابصار فيكون ذلك مشاهدة وقل ما يتميز بالبرهان استحالة المشاهدة فيما يتصور فيه التخيل *

وأما الوجود العقلى فامثلته كثيرة فاقنع منها بمثالين :

أحدهما قوله صلى الله عليه وسلم «آخر من يخرج من النار يعطي من الجنة عشرة أمثال هذه الدنيا» فان ظاهر هذا يشير الى انه عشرة أمثالها بالطول والعرض والمساحة وهو التفاوت الحسي والخيالى ثم قد يتعجب فيقول ان الجنة فى السماء كما دلت عليه ظواهر الاخبار فكيف تتسع السماء لعشرة أمثال الدنيا والسماء أيضاً من الدنيا وقد يقطع المتأول هذا التعجب فيقول المراد به تفاوت معنوى عقلى لا حسى ولا خيالى كما يقال مثلا هذه الجوهرة اضعاف الفرس أي فى روح المالية ومعناها المدرك عقلا دون مساحتها المدركة بالحس والتخيل *

المثال الثاني قوله صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالى خمر طينة آدم بيده أربعين صباحاً» فقد أثبت لله تعالى يداً ومن قام عنده البرهان على استحالة يد لله تعالى هى جارحة محسوسة أو متخيلة فانه يثبت لله سبحانه يداً روحانية عقلية أعنى أنه يثبت معنى اليد وحقيقتها وروحها دون صورتها * ان روح اليد ومعناها ما به يبطش ويفعل

ويعطى ويمنع والله تعالى يعطي ويمنع بواسطة ملائكته كما قال عليه الصلاة والسلام «أول ما خلق الله العقل فقال بك أعطى وبك أمنع» ولا يمكن أن يكون المراد بذلك العقل عرضاً كما يعتقده المتكلمون اذ لا يمكن أن يكون العرض أول مخلوق بل يكون عبارة عن ذات ملك من الملائكة يسمى عقلا من حيث يعقل الاشياء بجوهره وذاته من غير حاجة الى تعلم وربما يسمي قلما باعتبار انه تنقش به حقائق العلوم في الواح قلوب الانبياء والاولياء وسائر الملائكة وحياً والهاماً فانه قد ورد في حديث آخر ان أول ما خلق الله تعالى القلم فان لم يرجع ذلك الى العقل تناقض الحديثان ويجوز أن يكون لشىء واحد أسماء كثيرة باعتبارات مختلفة فيسمى عقلا باعتبار ذاته وملكا باعتبار نسبته الى الله تعالى في كونه واسطة بينه وبين الخلق وقلما باعتبار اضافته الى مايصدر منه من نقش العلوم بالالهام والوحي كما يسمى جبريل روحاً باعتبار ذاته وأميناً باعتبار ما اودع من الاسرار وذا مرة باعتبار قدرته وشديد القوى باعتبار كمال قوته ومكيناً عند ذى العرش باعتبار قرب منزلته ومطاعا باعتبار كونه متبوعا في حق بعض الملائكة وهذا القائل يكون قد أثبت قلماً ويداً عقلياً لا حسياً وخيالياً وكذلك من ذهب الى أن اليد عبارة عن صفة لله تعالى إما القدرة أو غيرها كما اختلف فيه المتكلمون *

وأما الوجود الشبهى فمثاله الغضب والشوق والفرح والصبر وغير ذلك مما ورد في حق الله تعالى فان الغضب مثلا حقيقته انه

غليان دم القلب لارادة التشفي وهذا لا ينفك عن نقصان وألم
فمن قام عنده البرهان على استحالة ثبوت نفس الغضب لله تعالى
ثبوتاً ذاتياً وحسياً وخيالياً وعقلياً نزله على ثبوت صفة أخرى يصدر
منها ما يصدر من الغضب كارادة العقاب والارادة لا تناسب
الغضب في حقيقة ذاته ولكن في صفة من الصفات تقارنها وأثر
من الآثار يصدر عنها وهو الايلام فهذه درجات التأويلات *

فصل

اعلم ان كل من نزل قولا من أقوال صاحب الشرع على درجة
من هذه الدرجات فهو من المصدقين وانما التكذيب ان ينفي
جميع هذه المعاني ويزعم ان ما قاله لا معنى له وانما هو كذب محض
وغرضه فيما قاله التلبيس أو مصلحة الدنيا وذلك هو الكفر المحض
والزندقة ولا يلزم كفر المأولين ما داموا يلازمون قانون التأويل
كما سنشير اليه وكيف يلزم الكفر بالتأويل وما من فريق من أهل
الاسلام الا وهو مضطر اليه فابعد الناس عن التأويل احمد بن
حنبل رحمة الله عليه وابعد التأويلات عن الحقيقة وأغربها ان تجعل
الكلام مجازاً أو استعارة وهو الوجود العقلي والوجود الشبهي
والحنبلي مضطر اليه وقائل به فقد سمعت الثقات من أئمة الحنابلة
ببغداد يقولون أن احمد بن حنبل رحمه الله صرح بتأويل ثلاثة
أحاديث فقط . أحدها قوله صلى الله عليه وسلم «الحجر الاسود يمين

الله في الارض» . والثاني قوله صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين
أصبعين من أصابع الرحمن» . والثالث قوله صلى الله عليه وسلم انى
لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن» فانظر الآن كيف أول هذا حيث
قام البرهان عنده على استحالة ظاهره فيقول اليمين تقبل فى العادة
تقرباً الى صاحبها والحجر الاسود يقبل ايضاً تقرباً الى الله تعالى
فهو مثل اليمين لا في ذاته ولا في صفات ذاته ولكن في عارض
من عوارضه فسمى لذلك يمينا وهذا الوجود هو الذى سميناه
الوجود الشبهى وهو ابعد وجوه التأويل فانظر كيف اضطر اليه
أبعد الناس عن التأويل وكذلك لما استحال عنده وجود الاصبعين
لله تعالى حسا اذ من فتش عن صدره لم يشاهد فيه أصبعين فتأوله
على روح الاصبعين وهى الاصبع العقلية الروحانية أعنى ان روح
الاصبع ما به يتيسر تقليب الاشياء وقلب الانسان بين لمة الملك
ولمة الشيطان وبهما يقلب الله تعالى القلوب فكنى بالاصبعين عنهما
وانما اقتصر احمد بن حنبل رضى الله عنه على تأويل هذه الاحاديث
الثلاثة لانه لم تظهر عنده الاستحالة الا في هذا القدر لانه لم يكن
ممعنا في النظر العقلي ولو أمعن لظهر له ذلك في الاختصاص بجهة
فوق وغيره مما لم يتأوله * والاشعري والمعتزلى لزيادة بحثهما تجاوزا
الى تأويل ظواهر كثيرة * وأقرب الناس الى الحنابلة فى أمور
الآخرة الاشعرية وفقهم الله فانهم قرروا فيها أكثر الظواهر الا
يسيراً * والمعتزلة أشد منهم توغلا في التأويلات وهم مع هذا —

اعنى الاشعرية — يضطرون أيضا الى تاويل أمور كما ذكرناه من
قوله انه يؤتى بالموت في صورة كبش أملح وكما ورد في وزن الاعمال
بالميزان فان الاشعرى أول وزن الاعمال فقال توزن صحائف
الاعمال ويخلق الله فيها أوزانا بقدر درجات الاعمال وهذا رد الى
الوجود الشبهي البعيد فان الصحائف أجسام كتبت فيها رقوم
تدل بالاصطلاح على أعمال هي أعراض فليس الموزون اذاً العمل
بل محل نقش يدل بالاصطلاح على العمل . والمعتزلى تأول نفس
الميزان وجعله كناية عن سبب به ينكشف لكل واحد مقدار عمله
وهو أبعد عن التعسف في التأويل بوزن الصحائف و ليس الغرض
تصحيح أحد التأويلين بل أن تعلم ان كل فريق وإن بالغ في ملازمة
الظواهر فهو مضطر الى التأويل إلا أن يجاوز الحد في الغباوة
والتجاهل فيقول الحجر الاسود يمين تحقيقا . والموت وان كان
عرضا يستحيل فينتقل كبشا بطريق الانقلاب. والاعمال وان كانت
اعراضا وقد عدمت فتنتقل الى الميزان ويكون فيها أعراض هي
الثقل ومن ينتهي الى هذا الحد من الجهل فقد انخلع من ربقة العقل

فصل

فاسمع الآن قانون التأويل: فقد علمت اتفاق الفرق على هذه
الدرجات الخمس في التأويل وان شيئاً من ذلك ليس من حيز
التكذيب واتفقوا أيضا على أن جواز ذلك موقوف على قيام

البرهان على استحالة الظاهر والظاهر الاول هو الوجود الذاتى
فانه اذا ثبت تضمن الجميع فان تعذر فالوجود الحسى فانه ان ثبت
تضمن ما بعده فان تعذر فالوجود الخيالي أو العقلى وان تعذر
فالوجود الشبهي المجازي ولا رخصة للعدول عن درجة الى مادونها
الا بضرورة البرهان فيرجع الاختلاف على التحقيق الى البراهين:
اذ يقول الحنبلى لا برهان على استحالة اختصاص الباري بجهة فوق
ويقول الاشعرى لا برهان على استحالة الرؤية وكان كل واحد لا يرضى
بما ذكره الخصم ولا يراه دليلا قاطعا. وكيف ما كان فلا ينبغي أن
يكفر كل فريق خصمه بأن يراه غالطاً في البرهان نعم يجوز ان
يسميه ضالا او مبتدعاً . اما ضالا فمن حيث انه ضل عن الطريق
عنده واما مبتدعاً فمن حيث انه ابتدع قولا لم يعهد من السلف
الصالح التصريح به اذ المشهور فيما بين السلف ان الله تعالى يرى .
فقول القائل لا يرى بدعة وتصريحه بتأويل الرؤية بدعة بل ان
ظهر عنده ان تلك الرؤية معناها مشاهدة القلب فينبغي ان لا يظهره
ولا يذكره لان السلف لم يذكروه ولكن عند هذا يقول الحنبلى اثبات
الفوق لله تعالى مشهور عند السلف ولم يذكر احد منهم ان خالق
العالم ليس متصلا بالعالم ولا منفصلا ولا داخلا ولا خارجا وان
الجهات الست خالية عنه وان نسبة جهة فوق اليه كنسبة جهة تحت.
فهذا قول بدع اذ البدعة عبارة عن احداث مقالة غير مأثورة عن
السلف وعند هذا يتضح لك ان ههنا مقامين :

أحدهما مقام عوام الخلق ۰ والحق فيه الاتباع والكف عن تغيير الظواهر رأساً والحذر عن ابداع التصريح بتأويل لم تصرح به الصحابة وحسم باب السؤال رأساً والزجر عن الخوض في الكلام والبحث واتباع ماتشابه من الكتاب والسنة كما روى عن عمر رضى الله عنه انه سأله سائل عن آيتين متعارضتين فعلاه بالدرة وكما روى عن مالك رحمه الله انه سئل عن الاستواء فقال الاستواء معلوم والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة

المقام الثانى بين النظار الذين اضطربت عقائدهم المأثورة المروية فينبغي أن يكون بحثهم بقدر الضرورة وتركهم الظاهر بضرورة البرهان القاطع ولاينبغى أن يكفر بعضهم بعضاً بأن يراه غالطاً فيما يعتقده برهاناً فان ذلك ليس أمراً هيناً سهل المدرك وليكن للبرهان بينهم قانون متفق عليه يعترف كلهم به فانهم اذا لم يتفقوا في الميزان لم يمكنهم رفع الخلاف بالوزن وقد ذكرنا الموازين الخمسة في كتاب (القسطاس المستقيم) وهى التى لايتصور الخلاف فيها بعد فهمها أصلا بل يعترف كل من فهمها بانها مدارك اليقين قطعاً والمحصلون لها يسهل عليهم عقد الانصاف والانتصاف وكشف الغطاء ورفع الاختلاف ولكن لايستحيل منهم الاختلاف أيضاً إما لقصور بعضهم عن إدراك تمام شروطه وإما في رجوعهم في النظر الى محض القريحة والطبع دون الوزن بالميزان كالذي يرجع

بعد تمام تعلم العروض في الشعر الى الذوق لاستثقاله عرض كل شعر على العروض فلايبعد أن يغلط ۰ وإما لاختلافهم في العلوم التى هى مقدمات البراهين فان من العلوم التى هي أصول البراهين تجريبية وتواترية وغيرها والناس يختلفون في التجربة والتواتر فقد يتواتر عند واحد مالايتواتر عند غيره وقد يتولى تجربة مالايتولاه غيره وإما لالتباس قضايا الوهم بقضايا العقل . وإما لالتباس الكلمات المشهورة المحمودة بالضروريات والاوليات كما فصلنا ذلك في كتاب (محك النظر) . ولكن بالجملة اذا حصلوا تلك الموازين وحققوها أمكنهم الوقوف عند ترك العناد على مواقع الغلط على يسر

فصل

من الناس من يبادر الى التاويل بغلبات الظنون من غير برهان قاطع ولاينبغى أن يبادر أيضا الى كفره في كل مقام بل ينظر فيه فان كان تأويله في أمر لايتعلق باصول العقائد ومهماتها فلا نكفره وذلك كقول بعض الصوفية ان المراد برؤية الخليل عليه السلام الكوكب والقمر والشمس وقوله هذا ربى غير ظاهرها بل هى جواهر نورانية ملكية ونورانيتها عقلية لاحسية ولها درجات في الكمال ونسبة مابينها في التفاوت كنسبة الكوكب والقمر والشمس ويستدل عليه بأن الخليل عليه السلام أجل من أن يعتقد في جسم انه اله حتى يحتاج الى أن يشاهد أفوله أفترى انه لو لم يأفل أكان يتخذه الهاً

ولو لم يعرف استحالة الالهية من حيث كونه جسما مقدراً . واستدل
بأنه كيف يمكن أن يكون أول مارآه الكوكب والشمس هي الاظهر
وهي أول مايرى . واستدل بأن الله تعالى قال أولا (وكذلك نرى
ابراهيم ملكوت السموات والارض) ثم حكى هذا القول فكيف
يمكن أن يتوهم ذلك بعد كشف الملكوت له وهذه دلالات ظنية
وليست براهين

أما قوله هو أجل من ذلك فقد قيل انه كان صبيا لما جرى له
ذلك ولايبعد أن يخطر لمن سيكون نبيا في صباه مثل هذا الخاطر
ثم يتجاوزه على قرب ولايبعد أن تكون دلالة الافول على الحدوث
عنده أظهر من دلاله التقدير والجسمية

وأما رؤية الكوكب اولا فقد روى انه كان محبوسا في صباه
في غار وانما خرج بالليل

واما قوله تعالى اولا (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات
والارض) فيجوز ان يكون الله تعالى قد ذكر حال نهايته ثم رجع
الى ذكر بدايته فهذه وامثالها ظنون يظنها براهين من لايعرف حقيقة
البرهان وشرطه فهذا جنس تأويلهم وقد تأولوا العصا والنعلين في
قوله تعالى (اخلع نعليك) وقوله (وألق مافي يمينك) ولعل
الظن في مثل هذه الامور التي لاتتعلق باصول الاعتقاد يجرى مجرى
البرهان في اصول الاعتقاد فلايكفر فيه ولايبدع نعم ان كان فتح
هذا الباب يؤدى الى تشويش قلوب العوام فيبدع به خاصة صاحبه

في كل مالم يؤثر عن السلف ذكره: ويقرب منه قول بعض الباطنية
ان عجل السامرى مؤول اذ كيف يخلو خلق كثير عن عاقل يعلم
ان المتخذ من الذهب لايكون الهاً وهذا ايضاً ظن اذ لايستحيل
ان تنتهي طائفة من الناس اليه كعبدة الاصنام وكونه نادراً
لايورث يقيناً

وأما مايتعلق من هذا الجنس بأصول العقائد المهمة فيجب
تكفير من يغير الظاهر بغير برهان قاطع كالذى ينكر حشر
الاجساد وينكر العقوبات الحسية في الآخرة بظنون وأوهام
واستبعادات من غير برهان قاطع فيجب تكفيره قطعياً اذ لا
برهان على استحالة رد الارواح الى الاجساد وذكر
ذلك عظيم الضرر في الدين فيجب تكفير كل من تعلق به وهو
مذهب اكثر الفلاسفة :وكذلك يجب تكفير من قال منهم ان الله
تعالى لايعلم الا نفسه أو لايعلم الا الكليات وأما الامور الجزئية
المتعلقة بالاشخاص فلايعلمها لان ذلك تكذيب للرسول صلى الله
عليه وسلم قطعاً وليس من قبيل الدرجات التى ذكرناها في التأويل
اذ ادلة القرآن والأخبار على تفهيم حشر الاجساد وتفهيم تعلق علم
الله تعالى بتفصيل كل مايجرى على الاشخاص مجاوز حداً لايقبل
التأويل وهم معترفون بأن هذا ليس من التأويل ولكن قالوا لما
كان صلاح الخلق في ان يعتقدوا حشر الاجساد لقصور عقولهم
عن فهم المعاد العقلي وكان صلاحهم في ان يعتقدوا ان الله تعالى عالم

بما يجرى عليهم ورقيب عليهم ليورث ذلك رغبة ورهبة في قلوبهم
جاز للرسول عليه السلام ان يفهمهم ذلك وليس بكاذب من اصلح
غيره فقال مافيه صلاحه وان لم يكن كما قاله وهذا القول باطل قطعاً
لانه تصريح بالتكذيب ثم طلب عذراً في انه لم يكذب ويجب
اجلال منصب النبوة عن هذه الرذيلة ففي الصدق واصلاح الخلق
به مندوحة عن الكذب وهذه اول درجات الزندقه وهي رتبة
بين الاعتزال وبين الزندقة المطلقة فان المعتزلة يقرب منهاجهم من
مناهج الفلاسفة الا في هذا الامر الواحد وهو ان المعتزلى لايجوز
الكذب على الرسول عليه السلام بمثل هذا العذر بل يؤول الظاهر
مهما ظهر له بالبرهان خلافه . والفلسفي لايقتصر على مجاوزته للظاهر
على مايقبل التأويل على قرب او على بعد

واما الزندقة المطلقة فهو ان تنكر اصل المعاد عقلياً وحسياً وتنكر
الصانع للعالم أصلا ورأسا

وأما إثبات المعاد بنوع عقلى مع نفى الآلام واللذات الحسية
واثبات الصانع مع نفي علمه بتفاصيل العلوم فهى زندقة مقيدة بنوع
اعتراف بصدق الانبياء وظاهر ظنى — والعلم عند الله — أن
هؤلاء هم المرادون بقوله عليه الصلاة والسلام « ستفترق أمتي بضعاً
وسبعين فرقة كلهم في الجنة الا الزنادقة وهى فرقة » هذا لفظ الحديث
في بعض الروايات وظاهر الحديث يدل على أنه أراد به الزنادقة
من أمته إذ قال ستفترق أمتي ومن لم يعترف بنبوته فليس من أمته

والذين ينكرون أصل المعاد وأصل الصانع فليسوا معترفين بنبوته
إذ يزعمون أن الموت عدم محض وأن العالم لم يزل كذلك موجوداً
بنفسه من غير صانع ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وينسبون
الانبياء الى التلبيس فلا يمكن نسبتهم الى الامة فاذاً لا معنى لزندقة
هذه الامة الا ما ذكرناه

فصل

اعلم أن شرح ما يكفر به وما لا يكفر به يستدعى تفصيلا
طويلا يفتقر الى ذكر كل المقالات والمذاهب وذكر شبهة كل واحد
ودليله ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله وذلك لايحويه مجلدات
ولا تتسع لشرح ذلك أوقاتي فاقنع الآن بوصية وقانون

أما الوصية فان تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما
داموا قائلين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها
والمناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذر
أو غير عذر فان التكفير فيه خطر والسكوت لا خطر فيه

وأما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان قسم يتعلق
باصول القواعد وقسم يتعلق بالفروع . وأصول الايمان ثلاثة الايمان
بالله وبرسوله وباليوم الآخر وما عداه فروع . واعلم أنه لا تكفير
في الفروع أصلا الا في مسألة واحدة وهى أن ينكر أصلا دينياً علم
من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر لكن فى بعضها تخطئة كما في

الفقهيات وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة.
واعلم أن الخطأ في أصل الامامة وتعيينها وشروطها وما يتعلق بها
لا يوجب شيء منه تكفيراً فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب
الامامة ولا يلزم تكفيره ولا يلتفت الى قوم يعظمون أمر
الامامة ويجعلون الايمان بالامام مقروناً بالايمان بالله وبرسوله ولا
الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الامامة فكل ذلك
إسراف اذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول صلى الله
عليه وسلم أصلا ومهما وُجد التكذيب وجب التكفير وان كان في
الفروع فلو قال قائل مثلا البيت الذي بمكة ليس الكعبة التي أمر
الله تعالى بحجها فهذا كفر اذ قد ثبت تواتراً عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلافه ولو أنكر شهادة الرسول لذلك البيت بانه
الكعبة لم ينفعه انكاره بل يعلم قطعا أنه معاند في انكاره الا أن
يكون قريب عهد بالاسلام ولم يتواتر عنده ذلك وكذلك من
نسب عائشة رضى الله عنها الى الفاحشة وقد نزل القرآن ببرائتها
فهو كافر لان هذا وأمثاله لا يمكن الا بتكذيب الرسول أو انكار
التواتر والتواتر ينكره الانسان بلسانه ولا يمكنه ان يجهله بقلبه نعم
لو أنكر ما ثبت بأخبار الآحاد فلا يلزمه به الكفر ولو أنكر ما
ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه
غموض يعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع
حجة أصلا فصار كون الاجماع حجة مختلفاً فيه فهذا حكم الفروع

وأما الاصول الثلاثة وكل ما لم يحتمل التأويل في نفسه وتواتر
نقله ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب
محض ومثاله ما ذكرناه من حشر الاجساد والجنة والنار واحاطة
علم الله تعالى بتفاصيل الامور وما يتطرق اليه احتمال التأويل ولو
بالمجاز البعيد فننظر فيه الى البرهان فان كان قاطعاً وجب القول به
ولكن ان كان في اظهاره مع العوام ضرر لقصور فهمهم فاظهاره
بدعة وان لم يكن البرهان قطعياً لكن يفيد ظنا غالباً وكان مع ذلك
لا يعلم ضرره في الدين كنفي المعتزلي الرؤية عن الله تعالى فهذه
بدعة وليس بكفر

واما ما يظهر له ضرر فيقع في محل الاجتهاد والنظر فيحتمل
ان يكفر ويحتمل ان لا يكفر. ومن جنس ذلك ما يدعيه بعض
من يدعي التصوف أنه قد بلغ حالة بينه وبين الله تعالى أسقطت
عنه الصلاة وحل له شرب الخمر والمعاصي وأكل مال السلطان
فهذا ممن لا شك في وجوب قتله وان كان في الحكم
بخلوده في النار نظر وقتل مثل هذا افضل من قتل مائة كافر اذ ضرره
في الدين اعظم وينفتح به باب من الاباحة لا ينسد. وضرر هذا
فوق ضرر من يقول بالاباحة مطلقا فانه يمنع عن الاصغاء اليه لظهور
كفره. واما هذا فانه يهدم الشرع من الشرع ويزعم انه لم يرتكب
فيه الا تخصيص عموم اذ خصص عموم التكليفات بمن ليس له مثل
درجته في الدين وربما يزعم انه يلابس ويقارف المعاصي بظاهره

وهو بباطنه برىء عنها ويتداعى هذا الى ان يدعي كل فاسق مثل حاله وينحل به عصام الدين

ولاينبغى ان يظن ان التكفير ونفيه ينبغي انيدرك قطعا فى كل مقام بل التكفير حكم شرعي يرجع الى اباحة المال وسفك الدم والحكم بالخلود في النار فمأخذه كمأخذ سائر الاحكام الشرعية فتارة يدرك بيقين وتارة بظن غالب وتارة يتردد فيه ومهما حصل تردد فالوقف فيه عن التكفير اولى والمبادرة الى التكفير انما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل: ولابد من التنبيه على قاعدة اخرى وهي ان المخالف قد يخالف نصاً متواتراً ويزعم انه مؤول ولكن ذكر تأويله لاانقداح له اصلا فى اللسان لاعلى بعد ولاعلى قرب فذلك كفر وصاحبه مكذب وان كان يزعم انه مؤول . مثاله مارأيته فى كلام بعض الباطنية ان الله تعالى واحد بمعنى انه يعطي الوحدة ويخلقها . وعالم بمعنى انه يعطى العلم لغيره ويخلقه . وموجود بمعنى انه يوجد غيره . وأما أن يكون واحداً فى نفسه وموجوداً وعالماً على معني اتصافه فلا . وهذا كفر صراح لان حمل الوحدة على ايجاد الوحدة ليس من التأويل في شيء ولاتحتمله لغة العرب اصلا ولو كان خالق الوحدة يسمى واحداً لخلقه الوحدة لسمي ثلاثاً واربعاً لانه خالق الاعداد أيضاً فأمثلة هذه المقالات تكذيبات عبر عنها بالتأويلات

فصل

قد فهمت من هذه التكفيرات ان النظر في التكفير يتعلق بأمور : أحدها ان النص الشرعي الذى عدل به عن ظاهره هل يحتمل التأويل ام لا . فان احتمل فهل هو قريب ام بعيد . ومعرفة مايقبل التأويل ومالا يقبل التأويل ليس بالهين بل لايستقل به إلا الماهر الحاذق في علم اللغة العارف باصول اللغة ثم بعادة العرب في الاستعمال في استعاراتها وتجوزاتها ومنهاجها في ضروب الامثال

الثاني في النص المتروك انه ثبت تواتراً أو آحادا او بالاجماع المجرد فان ثبت تواتراً فهو على شرط التواتر املا اذ ربما يظن المستفيض تواتراً : وحد التواتر مالايمكن الشك فيه كالعلم بوجود الانبياء ووجود البلاد المشهورة وغيرها وانه متواتر في الاعصار كلها عصراً بعد عصر الى زمان النبوة فهل يتصور ان يكون قد نقص عدد التواتر في عصر من الاعصار وشرط التواتر ان لايحتمل ذلك كما في القرآن أما في غير القرآن فيغمض مدرك ذلك جداً ولا يستقل بادراكه إلا الباحثون عن كتب التواريخ وأحوال القرون الماضية وكتب الاحاديث وأحوال الرجال وأغراضهم في نقل المقالات إذ قد يوجد عدد التواتر في كل عصر ولا يحصل به العلم إذ كان يتصور أن يكون للجمع الكثير رابطة فى التوافق لاسيما بعد وقوع التعصب بين أرباب المذاهب ولذلك ترى الروافض يدعون النص على علي

ابن أبي طالب رضى الله عنه في الامامة بتواتره عندهم وتواتر عند خصومهم في أشياء كثيرة خلاف ما تواتر عندهم لشدة توافق الروافض على إقامة أكاذيبهم واتباعها

وأما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من أغمض الاشياء إذ شرطه أن يجتمع أهل الحل والعقد في صعيد واحد فيتفقوا على امر واحد اتفاقا بلفظ صريح ثم يستمروا عليه مرة عند قوم والى تمام انقراض العصر عند قوم أو يكاتبهم إمام فى أقطار الارض فيأخذ فتاويهم فى زمان واحد بحيث تتفق أقوالهم إتفاقا صريحا حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده : ثم النظر فى أن من خالف بعده هل يكفر لان من الناس من قال إذا جاز فى ذلك الوقت أن يختلفوا فيحمل توافقهم على اتفاق ولا يمتنع على واحد منهم إن رجع بعد ذلك وهذا غامض أيضاً

الثالث النظر في أن صاحب المقال هل تواتر عنده الخبر أو هل بلغه الاجماع إذ كل من يولد لا تكون الامور عنده متواترة ولا مواضع الاجماع عنده متميزة عن مواضع الخلاف وانما يدرك ذلك شيئاً فشيئاً وإنما يعرف ذلك من مطالعة الكتب المصنفة في الاختلاف والاجماع للسلف ثم لا يحصل العلم في ذلك بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين اذ لا يحصل تواتر الاجماع به . وقد صنف أبو بكر الفارسى رحمه الله كتابا في مسائل الاجماع وأنكر عليه كثير منه وخولف في بعض تلك المسائل فاذاً من خالف الاجماع ولم يثبت

عنده بعد فهو جاهل مخطىء وليس بمكذب فلا يمكن تكفيره والاستقلال بمعرفة التحقيق فى هذا ليس بيسير .

الرابع النظر فى دليله الباعث له على مخالفة الظاهر أهو على شرط البرهان أم لا . ومعرفة شرط البرهان لا يمكن شرحها الا في مجلدات وما ذكرنا في كتاب (القسطاس المستقيم) وكتاب (محك النظر) انموذج منه . وتكل قريحة أكثر فقهاء الزمان عن قص شروط البرهان على الاستيفاء ولابد من معرفة ذلك فان البرهان اذا كان قاطعا رخص في التأويل وان كان بعيداً فاذا لم يكن قاطعاً لم يرخص الا في تأويل قريب سابق الى الفهم

الخامس فى أن ذكر تلك المقالة هل يعظم ضررها في الدين أم لا . فان ما لا يعظم ضرره في الدين فالامر فيه أسهل وان كان القول شنيعاً وظاهر البطلان كقول الامامية المنتظرة ان الامام مختف فى سرداب فانه ينتظر خروجه فانه قول كاذب ظاهر البطلان شنيع جداً ولكن لا ضرر فيه على الدين انما الضرر على الاحمق المعتقد لذلك اذ يخرج كل يوم من بلده لاستقبال الامام حتى يدخل فيرجع الى بيته خاسئا وهذا مثال : والمقصود أنه لا ينبغى أن يكفر بكل هذيان وان كان ظاهر البطلان فاذا فهمت أن النظر في التكفير موقوف على جميع هذه المقامات التى لا يستقل بآحادها المبرزون علمت أن المبادر الى تكفير من يخالف الاشعرى أو غيره جاهل مجازف وكيف يستقل الفقيه بمجرد الفقه بهذا الخطب العظيم وفي

أي ربع من أرباع الفقه يصادف هذه العلوم فاذا رأيت الفقيه الذي
بضاعته مجرد الفقه يخوض في التكفير والتضليل فاعرض عنه ولا
تشغل به قلبك ولسانك فان التحدي في العلوم غريزة في الطبع
لا يصبر عنه الجهال ولاجله كثر الخلاف بين الناس ولو ينكث من
الايدى من لا يدرى لقل الخلاف بين الخلق

فصل

من أشد الناس غلواً واسرافا طائفة من المتكلمين كفروا عوام
المسلمين وزعموا ان من لايعرف الكلام معرفتنا ولم يعرف العقائد
الشرعية بأدلتنا التي حررناها فهو كافر فهؤلاء ضيقوا رحمة الله
الواسعة على عباده أولا وجعلوا الجنة وقفا على شرذمة يسيرة من
المتكلمين ثم جهلوا ماتواتر من السنة ثانيا إذ ظهر لهم في عصر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصر الصحابة رضي الله عنهم
حكمهم باسلام طوائف من أجلاف العرب كانوا مشغولين بعبادة
الوثن ولم يشتغلوا بعلم الدليل ولو اشتغلوا به لم يفهموه ومن ظن ان
مدرك الايمان الكلام والادلة المجردة والتقسيمات المرتبة فقد أبدع
حد الابداع بل الايمان نور يقذفه الله في قلوب عبيده عطية وهدية
من عنده تارة ببينة من الباطن لايمكنه التعبير عنها وتارة بسبب
رؤيا في المنام وتارة بمشاهدة حال رجل متدين وسراية نوره اليه
عند صحبته ومجالسته وتارة بقرينة حال فقد جاء أعرابي الى النبي

صلى الله عليه وسلم جاحداً به منكراً فلما وقع بصره على طلعته البهية
زادها الله شرفا وكرامة فرآها يتلألأ منها أنوار النبوة قال والله
ما هذا بوجه كذاب وسأله أن يعرض عليه الاسلام فأسلم وجاء
آخر اليه عليه الصلاة والسلام وقال أنشدك الله آلله بعثك نبياً فقال
عليه الصلاه والسلام أي والله الله بعثني نبياً فصدقه بيمينه وأسلم
وهذا وأمثاله أكثر من أن يحصى ولم يشتغل واحد منهم بالكلام
وتعلم الادلة بل كان يبدو نور الايمان بمثل هذه القرائن في قلوبهم لمعة
بيضاء ثم لاتزال تزداد اشراقا بمشاهدة تلك الاحوال العظيمة وتلاوة
القرآن وتصفية القلوب فليت شعري متى نقل عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أو عن الصحابة رضى الله عنهم احضار اعرابي أسلم وقوله له الدليل
على أن العالم حادث أنه لا يخلو عن الأعراض وما لا يخلو عن
الحوادث حادث وان الله تعالى عالم بعلم وقادر بقدرة زائدة عن الذات
لاهي هو ولا هي غيره الى غير ذلك من رسوم المتكلمين

ولست أقول لم تجر هذه الالفاظ ولم يجر أيضا ما معناه معنى
هذه الالفاظ بل كان لا تنكشف ملحمة الا عن جماعة من الاجلاف
يسلمون تحت ظلال السيوف وجماعة من الاسارى يسلمون واحداً
واحداً بعد طول الزمان أو على القرب وكانوا اذا نطقوا بكلمة
الشهادة علموا الصلاة والزكاة وردوا الى صناعتهم من
رعاية الغنم وغيرها . نعم لست أنكر انه يجوز أن يكون ذكر أدلة
المتكلمين أحد أسباب الايمان في حق بعض الناس ولكن ليس

ذلك بمقصور عليه وهو أيضاً نادر بل الانفع الكلام الجارى في
معرض الوعظ كما يشتمل عليه القرآن . فأما الكلام المحرر على رسم
المتكلمين فانه يشعر نفوس المستمعين بأن فيه صنعة جدل ليعجز
عنه العامى لا لكونه حقاً في نفسه وربما يكون ذلك سبباً لرسوخ
العناد في قلبه ولذلك لاترى مجلس مناظرة للمتكلمين ولا للفقهاء
ينكشف عن واحد أنتقل من الاعتزال أو بدعة الى غيره ولاعن
مذهب الشافعى الى مذهب أبى حنيفة ولاعلى العكس وتجرى هذه
الانتقالات بأسباب أخر حتى في القتال بالسيف ولذلك لم تجر عادة
السلف بالدعوة بهذه المجادلات بل شددوا القول على من يخوض
في الكلام ويشتغل بالبحث والسؤال واذا تركنا المداهنة ومراقبة
الجانب صرحنا بأن الخوض في الكلام حرام لكثرة الآفة فيه الا
لأحد شخصين : رجل وقعت له شبهة ليست تزول عن قلبه
بكلام قريب وعظي ولابخبر نقلى عن رسول الله فيجوز أن يكون
القول المرتب الكلامي دافعاً شبهته ودواء له في مرضه فيستعمل معه
ذلك ويحرس عنه سمع الصحيح الذى ليس به ذلك المرض فانه
يوشك أن يحرك في نفسه إشكالا ويثير له شبهة تمرضه وتستنزله
عن اعتقاده المجزوم الصحيح

والثانى شخص كامل العقل راسخ القدم في الدين ثابت الايمان
بأنوار اليقين يريد أن يحصل هذه الصنعة ليداوى بها مريضاً اذا
وقعت له شبهة وليفحم بها مبتدعاً اذا نبغ وليحرس به معتقده اذا

قصد مبتدع اغواءه فتعلم ذلك بهذا العزم كان من فروض الكفايات
وتعلم قدر مايزيل به الشك ويدرأ الشبهة في حل المشكل فرض
عين اذا لم يمكن إعادة اعتقاده المجزوم بطريق آخر سواه . والحق
الصريح ان كل من اعتقد ماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام
واشتمل عليه القرآن اعتقاداً جزماً فهو مؤمن وان لم يعرف أدلته بل
الايمان المستفاد من الدليل الكلامي ضعيف جداً مشرف على
الزوال بكل شبهة بل الايمان الراسخ ايمان العوام الحاصل فى قلوبهم
في الصبى بتواتر السماع أو الحاصل بعد البلوغ بقرائن أحوال لايمكن
التعبير عنها وتمام تأكده بلزومه العبادة والذكر فان من تمادت به
العبادة الى حقيقة التقوى وتطهير الباطن عن كدورات الدنيا
وملازمة ذكر الله تعالى دائماً تجلت له أنوار المعرفة وصارت الامور
التى كان قد أخذها تقليداً عنده كالمعاينة والمشاهدة وذلك حقيقة
المعرفة التى لاتحصل إلا بعد انحلال عقدة الاعتقادات وانشراح
الصدر بنور الله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام
فهو على نور من ربه كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
معنى شرح الصدر فقال نور يقذف في قلب المؤمن فقيل وماعلامته
قال التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود . فبهذا يعلم ان
المتكلم المقبل على الدنيا المتهالك عليها غير مدرك حقيقة المعرفة ولو
أدركها لتجافى عن دار الغرور قطعاً

فصل

لعلك تقول أنت تأخذ التكفير من التكذيب للنصوص الشرعية . والشارع صلوات الله عليه هو الذى ضيق الرحمة على الخلق دون المتكلم اذ قال عليه السلام «يقول الله تعالى لآدم عليه السلام يوم القيامة يا آدم ابعث من ذريتك بعث النار فيقول يارب من كم فيقول من كل الف تسعمائه وتسعة وتسعين» . وقال عليه الصلاة والسلام «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجية منها واحدة»

الجواب : ان الحديث الاول صحيح ولكن ليس المعنى به انهم كفار مخلدون بل انهم يدخلون النار ويعرضون عليها ويتركون فيها بقدر معاصيهم والمعصوم من المعاصى لايكون في الالف الا واحداً وكذلك قال الله تعالى (وان منكم الا واردها) ثم بعث النار عبارة عمن استوجب النار بذنوبه ويجوز أن يصرفوا عن طريق جهنم بالشفاعة كما وردت به الاخبار وتشهد له الاخبار الكثيرة الدالة على سعة رحمة الله تعالى وهى أكثر من أن تحصى فمنها ماروي عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فابتغيته فاذا هو في مشربة يصلى فرأيت على رأسه أنواراً ثلاثة فلما قضى صلاته قال مهيم من هذه قلت أنا

عائشة يارسول الله قال أرأيت الانوار الثلاثة . قلت نعم يارسول الله قال ان آتياً أتاني من ربى فبشرني أن الله تعالى يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً بغير حساب ولاعذاب ثم أتانى فى النور الثانى آت من ربى فبشرنى ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتى مكان كل واحد من السبعين ألفا سبعين الفاً بغير حساب ولاعذاب ثم أتاني في النور الثالث آت من ربى فبشرني ان الله تعالى يدخل الجنة من أمتى مكان كل واحد من السبعين الفاً المضاعفة سبعين ألفاً بغير حساب ولاعذاب فقلت يارسول الله لاتبلغ أمتك هذا قال يكملون لكم من الاعراب ممن لايصوم ولايصلى

فهذا وأمثاله من الاخبار الدالة على سعة رحمة الله تعالى كثير فهذا فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم خاصة . وأنا أقول ان الرحمة تشمل كثيراً من الامم السالفة وإن كان أكثرهم يعرضون على النار اما عرضة خفيفة حتى في لحظة أو في ساعة واما في مدة حتي يطلق عليهم اسم بعث النار . بل أقول ان أكثر نصارى الروم والترك في هذا الزمان تشملهم الرحمة إن شاء الله تعالى أعنى الذين هم في أقاصى الروم والترك ولم تبلغهم الدعوة فانهم ثلاثة أصناف صنف لم يبلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم أصلا فهم معذورون. وصنف بلغهم اسمه ونعته وما ظهرعليه من المعجزات وهم المجاورون لبلاد الاسلام والمخالطون لهم وهم الكفار الملحدون . وصنف ثالث بين الدرجتين بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم نعته

وصفته بل سمعوا أيضاً منذ الصبا ان كذابا ملبسا اسمه محمد ادعى النبوة كما سمع صبياننا ان كذابا يقال له المقنع بعثه الله تحدى بالنبوة كاذبا فهؤلاء عندى فى معنى الصنف الاول فانهم مع أنهم لم يسمعوا اسمه سمعوا اضد أوصافه وهذا لا يحرك داعية النظر فى الطلب

وأما الحديث الآخر وهو قوله الناجية منها واحدة فالرواية مختلفة فيه فقد روى الهالكة منها واحدة ولكن الاشهر تلك الرواية ومعنى الناجية هي التى لا تعرض على النار ولا تحتاج الى الشفاعة بل الذى تتعلق به الزبانية لتجره الى النار فليس بناج على الاطلاق وان انتزع بالشفاعة من مخاليبهم وفي رواية كلها فى الجنة إلا الزنادقة وهي فرقة ويمكن أن تكون الروايات كلها صحيحة فتكون الهالكة واحدة وهى التى تخلد فى النار ويكون الهالك عبارة عمن وقع اليأس عن صلاحه لان الهالك لا يرجى له بعد الهلاك خير وتكون الناجية واحدة وهى التى تدخل الجنة بغير حساب ولا شفاعة لان من نوقش الحساب فقد عذب فليس بناج اذا ومن عرض للشفاعة فقد عرض للمذلة فليس بناج أيضا على الاطلاق وهذان طريقان وهما عبارتان عن شر الخلق وخيره . وباقي الفرق كلهم بين هاتين الدرجتين فمنهم من يعذب بالحساب فقط ومنهم من يقرب من النار ثم يصرف بالشفاعة ومنهم من يدخل النار ثم يخرج على قدر خطاياهم في عقائدهم وبدعتهم وعلى كثرة معاصيهم وقلتها . فاما الهالكة المخلدة في النار من هذه الامة فهي فرقة واحدة وهى

التى كذبت وجوزت الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمصلحة .

وأما من سائر الامم فمن كذبه بعد ما قرع سمعه التواتر عن خروجه وصفته ومعجزته الخارقة للعادة كشق القمر وتسبيح الحصى ونبع الماء من بين أصابعه والقرآن المعجز الذي تحدى به أهل الفصاحة وعجزوا عنه فاذا قرع ذلك سمعه فأعرض عنه وتولى ولم ينظر فيه ولم يتأمل ولم يبادر الى التصديق فهذا هو الجاحد الكاذب وهو الكافر ولا يدخل في هذا أكثر الروم والترك الذين بعدت بلادهم عن بلاد المسلمين بل أقول من قرع سمعه هذا فلابد أن تنبعث به داعية الطلب ليستبين حقيقة الامر ان كان من أهل الدين ولم يكن من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فان لم تنبعث هذه الداعية فذلك لركونه الى الدنيا وخلوه عن الخوف وخطر أمر الدين وذلك كفر وان انبعثت الداعية فقصر في الطلب فهو أيضا كفر بل ذو الايمان بالله واليوم الآخر من أهل كل ملة لا يمكنه أن يفتر عن الطلب بعد ظهور المخايل بالاسباب الخارقة للعادة فان اشتغل بالنظر والطلب ولم يقصر فادركه الموت قبل تمام التحقيق فهو أيضا مغفور له ثم له الرحمة الواسعة فاستوسع رحمة الله تعالى ولا تزن الامور الالهية بالموازين المختصرة الرسمية

واعلم ان الآخرة قريب من الدنيا فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة فكما ان أكثر أهل الدنيا فى نعمة وسلامة أو في

حالة يغبطها اذ لو خير بينها وبين الاماتة والاعدام مثلا لاختارها
وانما المعذب الذى يتمنى الموت نادر فكذلك المخلدون في النار
بالاضافة الى الناجين والمخرجين منها في الآخرة نادر فان صفة الرحمة
لاتتغير باختلاف أحوالنا وانما الدنيا والآخرة عبارتان عن اختلاف
أحوالك ولولا هذا لما كان لقوله عليه الصلاة والسلام معنى حيث
قال «أول ماخط الله في الكتاب الاول انا الله لااله الا أنا سبقت
رحمتي غضبي فمن شهد ان لااله الا الله وان محمداً عبده ورسوله
فله الجنة»

واعلم ان أهل البصائر قد انكشف لهم سبق الرحمة وشمولها
بأسباب ومكاشفات سوي ماعندهم من الاخبار والآثار ولكن
ذكر ذلك يطول فابشر برحمة الله وبالنجاة المطلقة ان جمعت بين
الايمان والعمل الصالح وبالهلاك المطلق ان خلوت عنهما جميعاً وان
كنت صاحب يقين في أصل التصديق وصاحب خطأ في بعض
التأويل أو صاحب شك فيهما أو صاحب خلط في الاعمال فلاتطمع
في النجاة المطلقة

واعلم انك بين ان تعذب مدة ثم تخلى وبين ان يشفع فيك
من تيقنت صدقه فى جميع ماجاء به أو غيره فاجتهد ان يغنيك الله
بفضله عن شفاعة الشفعاء فان الامر في ذلك مخطر

فصل

قدظن بعض الناس ان مأخذ التكفير من العقل لا من
الشرع وان الجاهل بالله كافر والعارف به مؤمن فيقال له الحكم
بإباحة الدم والخلود فى النار حكم شرعى لامعنى له قبل ورود الشرع
وان أراد به ان المفهوم من الشارع ان الجاهل بالله هو الكافر فهذا
لايمكن حصره فيه لان الجاهل بالرسول وبالآخرة أيضاً كافر ثم ان
خصص ذلك بالجهل بذات الله تعالى بجحد وجوده أو وحدانيته
ولم يطرده في الصفات فربما سوعد عليه وان جعل المخطيء في
الصفات أيضا جاهلا أو كافراً لزمه تكفير من نفى صفة البقاء وصفة
القدم ومن نفى الكلام وصفا زائداً على العلم ومن نفى السمع
والبصر زائداً على العلم ومن نفى جواز الرؤية ومن أثبت الجهة
وأثبت ارادة حادثة لا في ذاته ولا في محل وتكفير المخالفين فيه
وبالجملة يلزمه التكفير في كل مسئلة تتعلق بصفات الله تعالى وذلك
حكم لامستند له وان خصص ببعض الصفات دون بعض لم يجد
لذلك فصلا ومردا ولا وجه له الا الضبط بالتكذيب ليعم المكذب
بالرسول وبالمعاد ويخرج منه المؤول ثم لايبعد ان يقع الشك والنظر
في بعض المسائل من جملة التأويل أو التكذيب حتى يكون التأويل
بعيداً ويقضى فيه بالظن وموجب الاجتهاد فقد عرفت ان هذه
مسئلة اجتهاد

فصل

من الناس من قال انمــا أكفر من يكفرني من الفرق ومن لا يكفرنى فلا . وهذا لا مأخذ له فان قال قائل على رضى الله عنه أولى بالامامة اذا لم يكن كفرا فبان يخطىء صاحبه ونظن ان المخالف فيه كافر لايصير كافرا وانمــا هو خطــأ في مسئلة شرعية وكذلك الحنبلى اذا لم يكفر باثبات الجهة فلم يكفر بان يغلط أو يظن ان نافي الجهة مكذب وليس بمتأول وأما قول رسول الله صلى عليه وسلم «اذا قذف أحد المسلمين صاحبه بالكفر فقد باء به أحدهما» معناه ان يكفره مع معرفته بحاله فمن عرف من غيره انه مصدق لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يكفره فيكون المكفر كافراً

فاما ان كفره لظنه انه كذب الرسول فهذا غلط منه في حال شخص واحد اذ قد يظن به انه كافر مكذب وليس كذلك وهذا لايكون كفراً فقد أفدناك بهذه الترديدات التنبيه على أعظم الغور في هذه القاعدة وعلى القانون الذى ينبغى أن يتبع فيه فاقنع به والسلام

﴿ تم كتاب فيصل التفرقة ويليه رسالة القواعد العشرة ﴾

﴿ لابى حامد الغزالى ﴾

الرسالة الرابعة

القواعد العشرة

﴿ للامام الهمام حجة الاسلام ﴾

أبى حامد محمد بن محمد الغزالى

﴿ عليه الرحمة ﴾

﴿ طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة ﴾

محيي الدين صبري الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الموفق الذى وفق قلوب الاحباب * لموافقة مراسم
السنة وأحكام الكتاب * الفتاح الذى فتح بصائر أبصارهم فابصروا
مواقع نبال الارتياب في مقاتل أهل الحجاب * الملهم الذي ألهمهم
الحجة البيضاء بالمحجة الخضراء فأصابوا أبكار الصواب ناداهم
بلسان شأن المحبة من جنان المودة كيف ينام المحب عن مشاهدة
الاحباب * فأكحلوا نواظرهم بأثمد السهاد وجفوا من مضاجعهم
أطيب الرقاد * وجدوا في أثر الاطلاب مع الطلاب وجعلوا نهارهم
ليلا وأفراحهم ويلا * وأرخوا لعز مولاهم ذيلا * وتذللوا على
الاعتاب فأقامهم في الحاضرة والبادية وأسمعهم أوامره ونواهيه *
فياسعادتهم بتوفيقهم لوقوفهم على الابواب * وكشف لهم الحجاب
عن جماله * وكشط الضباب عن محاسن أثواب مقاله * فردوا
حيارى بمحاسن الاتراب أجروا مدامعهم جريان الانهار * وأبدوا
فجائعهم عن زمن تولى من جر الازار على الاوزار * وطرقوا الباب
فأتاهم الجواب يا عبادى أنا التواب على من أقلع عن الحوبة والى

أناب * روق لهم في دار الوصال شراب الاتصال فناهيك به من
شراب * فتلذذوا بمناجاته وغابوا عن حضورهم في حضراته * وغدا
كل بعقله مصاب فأين المهاجر في الهواجر ومن أكحل المحاجر
بالخناجر طوباه قد فاز بطيب الخطاب

قد كشف المولى منيع الحجاب * واسمع الاحباب طيب الخطاب
واحضروا حضرة أنس بها * غابوا فعاشوا بعد موت العقاب
وفي مقام القرب أدناهم * لما سقاهم فى المقام الشراب
واتحفوا من فضله بالوفا * محضا من الا من أجل الكتاب
لهم الملوك الشم من خلقه * ضنائن الحق لعز الحجاب
قد تبعوا نهج سبيل الهدى * واتبعوا حكم نصوص الكتاب
واستمسكوا بسنة خير الورى * وحاسبوا من قبل يوم الحساب
وناقشوا أنفسهم خيفة * من غضب الحق وهول العقاب
اذا أتى الليل تراهم به * فرحا لجمع الفرق تحت النقاب
يحيونه بالذكر كي يحيهم * بذكره في جمع أهل الثواب
براهم الحق يباهى بهم * بهم عن الخلق يزول العذاب
عليهم منى سلام سما * مالمع البرق وهل السحاب

﴿ أحمده ﴾ حمداً استوجب به الثواب وأشكره شكراً نزيد به
زيادات أولى الالباب * وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك
له * شهادة تنزهه عن الحلول والانحياز * والظهور والبطون والابتداء
والانتهاء والاشتهار والاحتجاب * وتقدست ذاته المقدسة عن

مقالات أولى الجهالات * من الكم والكيف والاين والمكان والزمان
والاياب والذهاب * وأمجده بما أبرزه بحكمته من الاكوان عن
التفكر والتدبر والمعاونة والمشاورة والراحة والنصب والانتصاب
وأعظمه عن التشبيه والتمثيل والتعديل والتحويل والتبديل والتكريب
والارتكاب * وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف محبوب
وأعظم الاشراف وأخص الاحباب * أرسله بفضل الكتاب وفصل
الخطاب * وأيده بأفضل كتاب وأجمل خطاب * أفصح فصحاء
الاعراب بالاعراب * والاختصار والاسهاب * وأعجز بلغاء الاحزاب *
ببدائع النفي والايجاب * وأضر بهم عما يعبدونه مما ينتمونه ما آتى به
من الاضراب فأنقذ الاحباب * من مهاوى الارتياب * ومغاوى
الاعراب وأعقب الاعراب بالعقاب على الاعقاب * وكشف عن
وجه نور الاسلام مكفهرات ظلمات الاشراك والضباب صلى الله
عليه وعلى آله وأصحابه والاحباب * وعلى الخلفاء الراشدين
الاقطاب * أبي بكر وأبي حفص وأبي عمرو وأبي تراب * صلاة
تحلنا دار النعيم * وتخرجنا عن دار العذاب

﴿ أما بعد ﴾ نفحنا الله واياك بنسائم قربه * وسقانا واياك
من كاسات حبه * ان بيان كيفية طريقنا * وبرهان أصل تحقيقنا
مبني على عشرة قواعد توقظ النائم وتقيم القاعد *

﴿ القاعدة الاولى ﴾ النية الصادقة الواقعة من غير التوا * لقوله
عليه الصلاة والسلام ﴿ وانما لكل امريء مانوى ﴾ والمراد بالنية

عزم القلب * وبالصادقة انهاؤها للفعل والترك للرب * وبالواقعة
استمرارها على هذه الخلة الاثيرة لان للتكرار تأثيراً ليس لغيره
وعلامتها عدم تغيير جزمه بأعراض فانية وباقية في عزمه فان العمل
للحق ولا بد من الحق * فلايترك ماعزم عليه للخلق

﴿ القاعدة الثانية ﴾ العمل لله من غير شريك ولا اشتراك لقوله
عليه السلام ﴿ اعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ﴾
وعلامته أن لا يرضى بغير الحق ويرى ماسواه قاطعاً * فيجتنب
الخلق لقول النبي المختار ﴿ تعس عبد الدينار ﴾ وليترك لله سبحانه
وتعالى جميع أمانيه * لقوله عليه السلام ﴿ من حسن إسلام المرء
تركه مالايعنيه ﴾ وآكدها الشبهات فاحذرها أن تصيبك لقوله
عليه السلام ﴿ دع مايريبك الى مالايريبك ﴾ فاذا صحت هذه
الاصول الثلاثة أثمرت أغصانها لك القربى * فتكون بالصورة في
الدنيا وبالمعنى في العقبى * وعلى قدر همك وثباتك على الفعل
والترك تحظى من الحديث المشهور ﴿ كن في الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل وعد نفسك من أصحاب القبور ﴾ وعلامة القناعة
مايذهب الحر والبرد والسغبة * لقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ حسب
ابن آدم لقيمات يقمن بها صلبه ﴾ فلايميل الى صاحب القمح
صاحب الشعير * والى النقرة صاحب النقير * والمستغني بالحلال
لايقصد المباح * ولايخفض الى الشبهة الجناح * وعلامة الغريب
الحمل الخفيف وعدم الائتلاف للثقيل * وترك السؤال فانه يؤوى

الى ظل الدخيل * وعلامة عابر السبيل اسراع الاجابة * ورضاه بما سيق اليه واستطابه * وعلامة الميت ايثار مهمات دينه * والمسألة في غوالب حينه *

﴿ القاعدة الثالثة ﴾ موافقة الحق بالاتفاق والوفاق * ومخالفة النفس بالصبر على الفراق والمشاق * وترك الهوى * وجفاء الملاذ والمكان والخلاف * ومن تعوده خرج عن الحجاب ودخل في الانكشاف * فعاد نومه سهراً * واختلاطه عزلة * وشبعه جوعاً * وعزته ذلة * ومكالمته صمتاً * وكثرته قلة *

﴿ القاعدة الرابعة ﴾ العمل بالاتباع لا الابتداع * لئلا يكون صاحب هوى * ولا يزهو برأيه زهوا * فانه لا يفلح من اتخذ نفسه في فعله وليا * بقوله عليه السلام ﴿عليكم بالسمع والطاعة ولو كان عبداً حبشيا﴾

﴿ القاعدة الخامسة ﴾ الهمة العلية المجردة عن تسويف يفسدك * فقد جاء لا تترك عمل يومك لغدك * لان بعض الاعمال من بعضها وإلا فمن رضى بالأدنى حرم الأعلى * والكامل المتبع هو السنى لا المتشيع والمعتزل والمبتدع لقوله عليه السلام ﴿ يا أحبابى عليكم بالسواد الاعظم ﴾ قالوا يارسول الله وما السواد الاعظم قال ﴿ ماأنا عليه وأصحابي ﴾

﴿ القاعدة السادسة ﴾ العجز والذلة لا بمعنى الكسل في الطاعات وترك الاجتهاد * بل عجزك عن كل فعل إلا بقدرة الحق الجواد * وأن ترى الخلق بعين التوقير والاحترام * فان بعضهم وسائط

بعض إجلالا لحضرة ذى الجلال والاكرام * لان سنة الله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئاً ما اضافه اليه ينفي الوسائط * وإن أراد جلال حضرته تعظيما أضافه لغيره رعاية للضوابط * فاذا علمت ان الكل بيد الله سبحانه وتعالى والمرجع اليه وتكبرت فقد تكبرت عليه الا بأمر وصل اليك من لديه * فاجعل عجزك في جنبه ومسكنتك له بالاعتذار * ولا تتصور قدرة لك فانها منازعة فى الاقتدار *

﴿ القاعدة السابعة ﴾ الخوف والرجا معنى وعدم الاطمئنان بجلال الاحسان الا عند العيان * فحسن ظنك منك بالجواد الحسان

﴿ القاعدة الثامنة ﴾ دوام الورد اما في حق الحق أو حق العباد * فان من ليس له ورد فما له من الموارد امداد * فالمديم يعمل والحق يعمل بعلاله بخلاف الذي يغيب بأعماله وأقواله * فان النفس تنبسط بذلك جهراً وسراً وتراعي حقوق العباد كما يتوقع منهم خيراً وشراً فيحب ويبغض لهم مايحب ويبغض لنفسه خيراً وشرا * ويعمل لله تعالى مايرضى كما يحب أن يفعل الله به مايرضى *

﴿ القاعدة التاسعة ﴾ المداومة على المراقبة ولا طرفة عين يغيب عن الله سبحانه وتعالى فمن داوم على مراقبة قلبه لله سبحانه وتعالى ونفى غير الله وجد الله واحسانه * وعلم اليقين يحصل ذلك لك بجملته * وهو أن ترى الحركات والسكنات والاعيان بتحريكه وتسكينه وقدرته سبحانه لا يستغنى عنه شيء * ثم تزيده مراقبة الى أن ترقى الى عين اليقين ثم تفنى عن ذلك به وذلك حقيقة اليقين

فتقول مارأيت شيئاً الا ورأيت الله سبحانه وتعالى هو القيوم على كل شيء بقيوميته وذلك الشيء هو القائم بأمره وبقدرته على حسب المشاهدة والمحاضرة فتأدب مع الخلق وعاشر أحسن المعاشرة (قال) عليه الصلاة والسلام (أدبني ربي فأحسن تأديبي)

﴿القاعدة العاشرة﴾ علم يوجب الاشتغال به ظاهراً وباطناً اجتهادا * لان من ظن انه استغنى عن الطاعة فهو مفلس معادا * لقوله سبحانه لارب سواه (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهذا مابنيت على أعمدة قواعده قصوراً من غير قصور وأسست عليه شوامخ الحجار لربات الحجور . وحرثته بمحراث فدن وبذرته بصنوف حبوب السعادة وغرست في فرادسه مغارس الاذكار * وأجريت في جناته من الاوراد والانهار * وفرشته بشقائق نعمان المجاهدة * ومهدته بحدائق حقائق المكابدة راجياً حصاد زرعي بمناجل الهمم وقاصداً غنيمة انفاق من مواهب الكرم * والله تعالى يزكيه ويربيه ويربيه * ويرتع فيه من ظهر من فيه ومن التحق به ممن يحييه * انه الجواد الكريم البر الرحيم * والسلام على من اتبع * فما ابتدع ونفع وانتفع * ولحق بعباد الله الصالحين وحزبه المفلحين ورحمته وبركاته وصلى الله وسلم على سيدنا محمد نور أنوار المعارف * وسر أسرار العوارف وعلى آله وصحبه وتابعي سبيله وحزبه والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتعم البركات آمين

﴿تمت الرسالة وتليها رسالة مشكاة الانوار للامام الغزالي﴾

الرسالة الخامسة

مشكاة الأنوار

﴿للامام الهمام حجة الاسلام﴾

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

﴿عليه الرحمة﴾

﴿طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة﴾

محيي الدين صبري الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مفيض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع
الاستار والصلاة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار
وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى آله
وأصحابه الطاهرين الاخيار . أما بعد فقد سألتني أيها الاخ الكريم
قيضك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة
العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقى عما سوى الحق سريرتك ان
أبث اليك أسرار الأنوار الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر الآيات
المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى (الله نور السموات والارض)
ومعنى تشبيهه ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة
مع قوله عليه السلام «ان لله سبعين الف حجاب من نور وظلمة لو
كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من أدركه بصره» ولقد ارتقيت
بسؤالك مرتقى صعباً تنخفض دون أعاليه مرامي أعين الناظرين
وقرعت بابا مغلقاً لا ينفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر
يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار

قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر بل
قال سيد الاولين والآخرين «إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه
إلا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره عليهم إلا أهل الاغترار بالله»
ومهما كثر أهل الاغترار بالله وجب حفظ الاسرار عن وجه الاشرار*
لكني أراك منشرح الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات الغرور
فلا أشح عليك بالاشاره الى لوامع ولوائح والرمز الى حقائق
ودقائق فليس الظلم فى كف العلم عن أهله بأقل منه في بثه الى غير
أهله فقد قيل

فمن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

فاقنع باشارات مختصرة وتلويحات موجزة فان تحقيق القول
فيه يستدعى تمهيد أصول وشرح فصول ليس يتسع له الآن وقتي
ولا ينصرف اليه ذهنى ولا همتى ومفاتيح القلوب بيد الله يفتحها
اذا شاء كما شاء بما شاء وإنما ينفتح في هذا الوقت فصول ثلاثة

الفصل الاول

في بيان ان النور الحق هو الله تعالى
وان اسم النور لغيره مجاز محض لاحقيقة له

وبيانه بان تعرف معنى النور بالوضع الاول عند العوام ثم
بالوضع الثانى عند الخواص ثم بالوضع الثالث عند خواص الخواص

ثم تعرف درجات النور المنسوبة الى الخواص وحقائقها لينكشف لك
عند ظهور درجاتها ان الله تعالى هو النور الاعلى الاقصى وعند انكشاف
حقائقها انه النور الحق الحقيقي وحده لاشريك له فيه أما الوضع
الاول العامي فالنور يشير الى الظهور والظهور أمر إضافى اذ يظهر
الشيء لا محالة لغيره ويبطن عن غيره فيكون ظاهراً بالاضافة باطناً
بالاضافة وإضافة ظهوره الى الادراكات لامحالة وأقوى الادراكات
وأجلها عند العوام الحواس ومنها حاسة البصر والاشياء بالاضافة
الى الحس البصرى ثلاثة أقسام منها ما لا يبصر بنفسه كالاجسام
المظلمة ومنها ما يبصر بنفسه ولا يبصر به غيره كالاجسام المضيئة
مثل الكواكب وجسم النار اذا لم تكن مشعلة ومنها ما يبصر بنفسه
ويبصر به غيره كالشمس والقمر والنيران المشعلة والسرج والنور
اسم لهذا القسم الثالث ثم تارة يطلق على ما يفيض من هذه الاجسام
المنيرة على ظواهر الاجسام الكثيفة فيقال استنارت الارض ووقع
نور الشمس على الارض ونور السراج على الحائط والثوب وتارة
يطلق على نفس هذه الاجسام المشرقة أيضاً لانها فى أنفسها مستنيرة
وعلى الجملة فالنور عبارة عما يبصر بنفسه ويبصر به غيره كالشمس
هذا حده وحقيقته بالوضع الاول* (دقيقة) لما كان سر النور
وروحه هو الظهور للادراك وكان الادراك موقوفا على وجود
النور وعلى وجود العين الباصرة أيضاً اذ النور هو الظاهر المظهر
وليس شيء من الانوار ظاهراً في حق العميان ولا مظهراً فقد

ساوى الروح الباصرة النور الظاهر في كونه ركنا لا بد منه
للادراك ثم ترجح عليه في ان الروح الباصرة هي المدركة وبها الادراك
وأما النور فليس بمدرك ولا به ادراك بل عنده الادراك وكان
اسم النور بالنور أحق منه بالنور المبصر فأطلقوا اسم النور على
نور العين المبصرة فقالوا فى الخفاش ان نور عينه ضعيف وفى
الاعمش انه ضعيف نور البصر وفي الاعمى أنه فقد نور بصره وفي
السواد انه يجمع نور البصر ويقويه والاجفان انما خصتها الحكمة
الالهية بلون السواد وجعل العين محفوفة بها لتجمع ضوء العين وأما
البياض فيفرق نور العين فيضعف نوره حتى ان إدامة النظر الى
البياض المشرق بل الى نور الشمس يبهر نور العين ويمحقه كما يمحق
الضعيف في جنب القوى فقد عرفت بهذا أن الروح الباصرة يسمى
نوراً وانه لم كان بهذا الاسم أولى وهذا هو الوضع الثاني وهو وضع
الخواص

(حقيقة) إعلم ان نور البصر موسوم بأنواع من النقصان
فانه يبصر غيره ولا يبصر نفسه ولا يبصر ما بعد منه ولا ما قرب
ولا يبصر ما هو وراء حجاب ويبصر من الاشياء ظاهرها دون
باطنها ويبصر من الموجودات بعضها دون كلها ويبصر أشياء
متناهية ولا يبصر ما لا نهاية له ويغلط كثيراً في إبصاره فيرى
الكبير صغيراً ويرى البعيد قريباً والساكن متحركا والمتحرك
ساكنا فهذه سبع نقائص لا تفارق العين الظاهرة فان كان في

الاعين عين منزه عن هذه النقائص كلها فليت شعرى هل هو أولى
باسم النور فعلم ان في قلب الانسان عيناً هذه صفة كمالها وهي التي
يعبر عنها تارة بالعقل وتارة بالروح وتارة بالنفس الانساني دع
عنك هذه العبارات فانها اذا كثرت أوهمت عند الضعيف البصيرة
كثرة المعاني فنعني به المعنى الذى يتميز به العاقل عن الطفل الرضيع
وعن البهيمة وعن المجنون ولنسمه عقلا متابعة للجمهور في الاصطلاح
فنقول العقل أولى بان يسمى نوراً من العين الظاهرة لرفعة قدره
عن النقائص السبع . . أما الاولى فهو ان العين لا تبصر نفسها
والعقل يدرك غيره ويدرك نفسه ويدرك صفات نفسه اذ يدرك
نفسه عالما وقادراً ويدرك علم نفسه ويدرك علمه بعلمه بنفسه وعلمه
بعلمه بعلمه نفسه الى غير نهاية وهذه خاصة لا تتصور لما يدرك بآلة
الاجسام ووراءه سر يطول شرحه .

الثانية ان العين لا تبصر ما قرب منها قرباً مفرطا ولا ما بعد والعقل
عنده يستوى القريب والبعيد ويعرج في طرفة الى اعلى السموات
رقياً وينزل في لحظة الى تخوم الارض هوياً بل اذا حقت الحقائق
انكشف انه منزه عن ان يحوم بجنبات قدسه القرب والبعد الذى
يعرض بين الاجسام فانه أنموذج من بحور الله تعالى ولا يخلو
الانموذج عن محاكاة وان كان لا يرقى الى ذروة المساوقة وهذا ربما
هزك للتفطن لسر قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على
صورته» فلست أرى الآن الخوض في بيانه . الثالثة أن العين لا

تدرك ما وراء الحجاب والعقل يتصرف فى العرش والكرسى وما
وراء حجب السموات وفي الملأ الأعلى والملكوت كتصرفه في
عالمه الخاص به ومملكته القريبة أعنى بها الخاصة به بل الحقائق كلها
لا تحجب عن العقل وانما حجاب العقل حيث يحجب من نفسه
لنفسه بسبب صفات مقارنة له تضاهى حجاب العين من نفسه عند
تغميض الاجفان وستعرف هذا في الفصل الثالث من الكتاب..

الرابعة أن العين تدرك من الاشياء ظاهرها وسطحها الأعلى دون
باطنها بل قوالبها وصورها دون حقائقها والعقل يتغلغل الى بواطن
الاشياء وأسرارها ويدرك حقائقها وأرواحها ويستنبط أسبابها
وعللها وحكمها وانها مم حدثت وكيف خلقت ومن كم معنى جمع
الشيء وركب وعلى أي مرتبة فى الوجود نزل وما نسبته الى سائر
مخلوقاته الى مباحث أخر يطول شرحها نرى الايجاز فيها أولى ..

الخامسة أن العين تبصر بعض الموجودات إذ تقصر عن جميع
المعقولات وعن كثير من المحسوسات ولا تدرك الاصوات ولا
الروائح والطعوم والحرارة والبرودة والقوى المدركة أعنى قوة السمع
والشم والذوق بل الصفات الباطنة النفسانية كالفرح والسرور
والغم والحزن والألم واللذة والعشق والشهوة والقدرة والارادة
والعلم الى غير ذلك من موجودات لا تحصى ولا تعد فهو ضيق
المجال مختصر المجرى لا تسعه مجاوزة عالم الألوان والأشكال وهما

أخس الموجودات فان الاجسام في نفسها أخس أقسام الموجودات
والالوان والاشكالُ من أخس اعراضها والموجودات كلها مجال
العقل إذ يدرك هـذه الموجودات التى عددناها وما لم نعده هو
الاكثر فيتصرف في جميعها ويحكم عليها حكما يقينا صادقا فالاسرار
الباطنة عنده ظاهرة والمعانى الخفية عنده جلية فمن أين للعين الباصرة
مساواته في استحقاق اسم النور كلا انها نور بالاضافة الى غيرها
ولكنها ظلمة بالاضافة اليه بل هى جاسوس من جواسيسه وكلها
بأخس خزائنـه وهى خزانة الالوان والاشكال لترفع الى حضرته
أخبارها فيقضى فيها بما يقتضيه رأيه الثاقب وحكمه النافذ والحواس
جواسيسه سواها وهى من خيال ووهم وفكر وذكر وحفظ ووراءهم
خدم وجنود مسخرة له في عالمـه الحاضر يستخرهم ويتصرف فيهم
استسخار الملك عبيده بل أشد وشرح ذلك يطول وقد شرحناه
في كتاب عجائب القلب من كتب الاحياء . . السادسة أن العين
لا تبصر ما لا نهاية له فانهـا تبصر صفات الاجسام المعلومات
والاجسام لا تتصور الا متناهية والعقل يدرك المعقولات والمعقولات
لاتتصور أن تكون متناهية نعم اذا لاحظ العلوم المتحصلة فلا يكون
الحاضر الحاصل عنده إلا متناهياً لكن في قوته إدراك ما لا نهاية له وشرح
ذلك يطول فان أردت له مثالا فخذ من الحساب فانه يدرك
الاعداد ولا نهاية لها بل يدرك تضعيفات الاثنين والثلاثة وسائر

الاعدد ولا يتصور لها نهاية ويدرك أنواعاً من النسب بين الاعداد
ولا يتصور لها نهاية بل يدرك علمه بالشيء وعلمه بعلمه بالشيء وعلمه
بعلمه بعلمه وقوته في هذا الوجه أيضاً لا تقف عند نهاية .. السابعة
أن العين تدرك الكبير صغيراً فترى الشمس في مقدار مجر والكواكب
في صورة دنانير منثورة على بساط أزرق والعقل يدرك أن الكواكب
والشمس اكبر من الارض اضعافا مضاعفة ويرى الكواكب ساكنة
بل يرى الظل بين يديه ساكنا ويرى الصبى ساكناً في مقداره
والعقل يدرك أن الصبي يتحرك في النمو والتزيد على الدوام والظل
متحرك دائما والكواكب تتحرك في كل لحظة أميالا كثيره كما قال
صلى الله عليه وسلم لجبريل أزالت الشمس فقال لا نعم قال وكيف
قال منذ قلت لا الى أن قلت نعم قد تحركت مسيرة خمسمائة عام
وأنواع غلط البصر كثيرة والعقل منزه عنها فان قلت نرى العقلاء
يغلطون في نظرهم فاعلم أن خيالاتهم وأوهامهم قد تحكم باعتقادات
يظنون ان أحكامها أحكام العقل فالغلط منسوب اليها وقد شرحنا
مجامعها في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأما العقل اذا تجرد
عن غشاوة الوهم والخيال لم يتصور ان يغلط بل يرى الاشياء على
ما هى عليه وفي تجرده عسر وانما يكمل تجرده عن هذه النوازع بعد
الموت وعند ذلك ينكشف الغطاء وتنجلى الاسرار ويصادف كل
أحد ما قدمه من خير أو شر محضراً ويشاهد كتاباً لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها وعندها يقول له فكشفنا عنك غطاءك

فبصرك اليوم حديد وانما الغطاء غطاء الخيال والوهم وعندها يقول
المغرور بأوهامه واعتقاداته الفاسدة وخيالاته الباطلة ربنا أبصرنا
وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون فقد عرفت بهذا ان العين
أولى باسم النور من النور المعروف المحسوس ثم عرفت أن العقل
أولى باسم النور من العين بل بينهما من التفاوت ما يصح ان يقال
معه أنه أولى بل الحق انه يستحق الاسم دونه (دقيقة) إعلم أن
العقول وان كانت مبصرة فليست المبصرات عندها كلها على مرتبة
واحدة بل بعضها تكون عندها كأنها حاضرة كالعلوم الضرورية
مثل علمه بأن الشيء الواحد لا يكون قديما حديثاً ولا يكون موجوداً
معدوماً والقول الواحد لا يكون صدقا وكذباً وان الحكم اذا ثبت
للشيء جوازه ثبت لمثله وان الاخص اذا كان موجوداً كان الاعم
واجب الوجود فاذا وجد السواد فقد وجد اللون واذا وجد
الانسان فقد وجد الحيوان واما عكسه فلا يلزم في العقل إذ لا يلزم
من وجود اللون وجود السواد ولا من وجود الحيوان وجود
الانسان الى غير ذلك من القضايا الضرورية في الواجبات والجائزات
والمستحيلات ومنها مالا يقارن العقل في كل حال اذا عرض عليه
بل يحتاج الى أن يهز أعطافه ويستورى زناده وينبه عليه بالتنبيه
كالنظريات وإنما ينبهه كلام الحكماء فعند إشراق نور الحكمة يصير
الانسان مبصراً بالفعل بعد ان كان مبصراً بالقوة وأعظم الحكمة
كلام الله تعالى ومن جملة كلامه القرآن خاصة فيكون منزلة آيات

القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس عند العين الظاهرة إذ به
يتم الابصار فبالحرى أن يسمى القرآن نوراً كما يسمى نور الشمس
نوراً فمثال القرآن نور الشمس ومثال العقل نور العين وبهذا يفهم
معنى قوله تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا) وقوله
تعالى (قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نوراً مبيناً)
(تكملة لهذه الدقيقة) فاذا فهمت من هذا أن العين عينان ظاهرة وباطنة.
الظاهرة من عالم الحس والمشاهدة ، والباطنة من عالم آخر وهو عالم
الملكوت ولكل عين من العينين شمس ونور عنده تصير كاملة
الابصار ٭أحداها ظاهرة والاخرى باطنة والظاهرة من عالم الشهادة
وهي الشمس المحسوسة والباطنة من عالم الملكوت وهو القرآن وكتب
الله المنزلة

ومهما انكشف لك هذا انكشافا تاما فقد انفتح لك باب
من أبواب الملكوت وفي هذا العالم عجائب يستحقر بالاضافة اليها
عالم الشهادة ومن لم يسافر الى هذا العالم وقعد به القصور في
حضيض عالم الشهادة فهو بهيمة بعد ومحروم عن خاصية الانسانية
بل أضل من البهيمة إذ لم تعط البهيمة أجنحة الطيران الى هذا العالم
ولذلك قال تعالى (أولئك كالانعام بل هم أضل) واعلم أن عالم
الشهادة بالاضافة الى عالم الملكوت كالقشرة بالاضافة الى اللب
وكالصورة والقالب بالاضافة الى الروح وكالظلمة بالاضافة الى
النور وكالسفل بالاضافة الى العلو ولذلك يسمى عالم الملكوت

العالم العلوى والعالم الروحاني والعالم النورانى وفي مقابلتـــه العالم
السفلى والجسماني والظلمانى ولا تظنن أنا نعنى بالعالم العلوي السموات
فانها علو وفوق في حق بعض عالم الشهادة والحس يشارك في ادراكها
البهائم وأما العبد فلا تفتح له أبواب الملكوت ولا يصير ملكوتياً
الا وتبدل فى حقه الارض غير الارض والسموات و يصير كل
ما هو داخل تحت الحس والخيال أرضه ومن جملتها السموات وكل
ما ارتفع عن الحس سماؤه وهـذا هو المعراج الاول لكل سالك
ابتدأ سفره لقرب حضرة الربوبية فالانسان مردود الى أسفل سافلين
ومنه يترقى الى العالم الأعلى وأما الملائكة فانهم من جملة عالم
الملكوت عالقون في حضرة القدس ومنها يشرفون على العالم الاسفل
ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق الخلق فى ظلمة
ثم أفاض عليهم من نوره» وقال «لله ملائكة هم أعلم بأعمال الناس منهم»
والانبياء إذا بلغ معراجهم الى عالم الملكوت فقد بلغوا المبلغ الاقصى
وأشرفوا على جملة من عالم الغيب إذ من كان في عالم الملكوت
كان عند الله وعنده مفاتيح الغيب أي من عنـده تنزل أسباب
الموجودات فى عالم الشهادة إذ عالم الشهادة أثر من آثار ذلك العالم
يجرى منه مجرى الظل بالاضافة الى الشخص ومجرى الثمر بالاضافة
الى المثمر والمسبب بالاضافة الى السبب ومفـاتيح معرفة المسببات
إنما تؤثر من الاسباب ولذلك كان عالم الشهادة مثالا لعالم الملكوت
كما سيأتى فى بيان المشكاة والمصباح والشجرة لان المشبه لا يخلو عن

موازاة المشبه به ومحاكاته نوعا من المحاكاة على قرب أو بعد وهذا الآن
له غور عميق ومن اطلع على كنه حقيقته انكشفت له حقائق
أمثلة القرآن على يسر

(دقيقة ترجع الى حقيقة النور) قلنا ان كل ما يبصر نفسه وغيره
أولى باسم النور فان كان من جملته ما يبصر به غيره أيضا مع أنه
يبصر نفسه وغيره فهو أولى باسم النور من الذى لا يؤثر في غيره
أصلا بل بالحرى أن يسمى سراجا منيراً لفيضان أنواره على غيره
وهذه الخاصة توجد للروح القدسى النبوي إذ تفيض بواسطته
أنوار المعارف على الخلق وبه يفهم تسمية الله محمداً صلى الله عليه
وسلم سراجا منيراً والانبياء كلهم سرج وكذلك العلماء ولكن
التفاوت بينهم لا يحصى

(دقيقة) اذا كان اللائق بالذى يستفاد منـــه نور الابصار
أن يسمى سراجا منيراً فالذى يقتبس منه السراج فى نفسه جدير
بأن يكنى عنـه بالنار وهذه السرج الارضية انما تقتبس في أصلها
من أنوار علوية والروح القدسى النبوى يكاد زيته يضيء ولو لم
تمسسه نار لكن انما يصير نوراً على نور اذا مسته النار فبالحرى
أن يكون مقتبس الارواح الارضية من الارواح الالهية العلوية
التى وصفها علي وابن عباس عليهما السلام فقالا ان لله ملكا له
سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف فم في كل فم سبعون
ألف لسان يسبح الله بجميعها وهو الذى قوبل بالملائكة كلهم فقيل

(يوم يقوم الروح والملائكة صفاً)فهي اذا اعتبرت من حيث يقتبس منها السرج الارضية لم يكن لها مثال الا النار وذلك لا يؤنس إلا من جانب الطور

(دقيقة)الانوار السماوية التي منها تقتبس الانوار الارضية ان كان لها ان تترتب بحيث يقتبس بعضها من بعض فالاقرب من المنبع الاول أولى باسم النور لانه أعلى رتبة ومثال ترتيبها في عالم الشهادة لا يدركه الانسان إلا بان يبصر ضوء القمر داخلا في كوة بيت واقعا على مرآة منصوبة على حائط منعطفا منها على حائط آخر في مقابلتها ثم منعطفا منها على الارض بحيث تستنير منه الارض فأنت تعلم أن ما على الارض من النور تابع لما على الحائط وما على الحائط تابع لما على المرآة وما على المرآة تابع القمر وما فى القمر تابع لما في الشمس إذ منها يشرق النور على القمر وهذه الانوار الاربعة مترتبة بعضها أعلى من بعض وأكمل من بعض ولكل واحد مقام معلوم ودرجة خاصة لا يتعداها

فاعلم أنه قد انكشف لارباب البصائر أن الانوار الملكوتية انما وجدت على ترتيب كذلك وأن المقرب هو الاقرب الى النور الاقصى فلا يبعد أن تكون رتبة اسرافيل فوق رتبة جبريل وان فيهم الاقرب الذى تقرب درجته من حضرة الربوبية التي هى منبع الانوار كلها وان فيهم الادنى وبينهم درجات تستعصى عن الاحصاء وانما المعلوم كثرتهم وترتبهم في صفوفهم وأنهم كما

وصفوا به أنفسهم إذ قالوا (وما منا إلا له مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون)

(دقيقة) اذا عرفت ان الانوار لها ترتيب فاعلم أنها لا تتسلسل الى غير نهاية بل ترتقي الى منبع أول هو النور لذاته وبذاته ليس يأتيه نور من غيره ومنه تشرق الانوار كلها على ترتيبها فانظر الآن هل اسم النور أحق وأولى بالمستنير المستعير نوره من غيره أو بالمنير في ذاته المنور لكل ماسواه فما عندى انه يخفى عليك الحق فيه وبه تتحقق ان اسم النور أحق بالنور الاقصى الاعلى الذي لا نور فوقه ومنه ينزل النور الي غيره

(حقيقة) بل أقول ولا أبالي ان اسم النور على غير النور الاول مجاز محض اذ كل ماسواه اذا اعتبرت ذاته فهو في ذاته من حيث ذاته لا نور له بل نوره مستعار من غيره ولا قوام لنورانيته المستعارة بنفسها بل بغيرها ونسبة المستعار مجاز محض أفترى أن من استعار ثياباً وفرساً ومركباً وسرجاً وركبه في الوقت الذى أركبه المعير وعلى الحد الذى رسمه له غنى بالحقيقة أو بالمجاز أو ان المعير هو الغنى كلا بل المستعير هو فقير في نفسه كما كان وانما الغنى هو المعير الذى منه الاعارة والاعطاء واليه الاسترداد والانتزاع فاذاً النور الحق هو الذي بيده الخلق والامر ومنه الانارة أولا والادامة ثانياً فلا شركة لاحد معه في حقيقة هذا الاسم ولا في استحقاقه الا من حيث تسميته به ويتفضل عليه بتسميته اياه تفضل المالك على

عبده اذا أعطاه مالا ثم سماه مالكا واذا انكشف للعبد هـذه
الحقيقة علم انه وماله ملك لمالكه على التفرد لاشريك له فيه أصلا

(حقيقة) مهما عرفت ان النور راجع الى الظهور والاظهار
ومراتبه فاعلم انه لاظلمة أشد من ظلمة العدم لانه مظلم وسمى مظلما
لانه ليس يظهر للابصار اذ ليس يصير موجوداً للبصر مع انه
موجود في نفسه فالذي ليس موجوداً لا لغيره ولا لنفسه كيف
لايستحق أن يكون هو الغاية في الظلمة وفي مقابلته الوجود
فهو النور فان الشىء مالم يظهر في ذاته لايظهر لغيره والوجود بنفسه
أيضا ينقسم الى ماله الوجود من ذاته والى ماله الوجود من غيره
وماله الوجود من غيره فوجوده مستعار لاقوام له بنفسه بل اذا
اعتبرت ذاته من حيث ذاته فهو عدم محض وانما وجوده من حيث
نسبته الى غيره وليس ذلك بوجود حقيقى كما عرفت في مثال
استعارة الثوب والغنى فالموجود الحق هو الله تعالى كما ان النور
الحق هو الله تعالى

﴿ حقيقة الحقائق ﴾ من ههنا يترقى العارفون من حضيض
المجاز الى ذروة الحقيقة واستكملوا معراجهم فرأوا بالمشاهدة العيانية
أن ليس في الوجود الا الله وان كل شىء هالك الا وجهه لانه
يصير هالكا في وقت من الاوقات بل هو هالك أزلا وأبداً اذ
لايتصور الا كذلك فان كل شىء سواه اذا اعتبرت ذاته من حيث
ذاته فهو عدم محض واذا اعتبر من الوجه الذى يسري اليه الوجود

من الاول الحق رؤي موجوداً لا فى ذاته بل من الوجه الذى يلى
موجده فيكون الموجود وجه الله فقط ولكل شىء وجهان وجه إلى
نفسه ووجه الى ربه فهو باعتبار وجه نفسه عدم وباعتبار وجه الله
وجود فاذاً لا موجود الا الله ووجهه فاذاً كل شيء هالك الاوجهه
أزلا وأبداً ولم يفتقر هؤلاء الى قيام القيامة ليستمعوا نداء الباري
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار بل هذا النداء لايفارق سمعهم أبداً
ولم يفهموا من معنى قوله الله أكبر انه أكبر من غيره حاش لله إذ
ليس في الوجود معه غيره حتي يكون هو اكبر منه بل ليس لغيره
رتبة المعية بل رتبة التبعية بل ليس لغيره وجود الا من الوجه الذى
يليه فالموجود وجهه فقط ومحال أن يكون أكبر من وجهه بل معناه
أكبر من أن يقال له أكبر بمعنى الاضافة والمقايسة وأكبر من أن
يدرك غيره كنه كبريائه نبيا كان أو ملكا بل لا يعرف الله كنه
معرفته الا هو اذ كل معروف داخل تحت سلطان العارف واستيلائه
وذلك ينافى الجلال والكبرياء وهذا له تحقيق ذكرناه في كتاب
المقصد الاسنى في معاني أسماء الله الحسنى

﴿ اشارة ﴾ العارفون بعد العروج الى سماء الحقيقة اتفقوا على
أنهم لم يروا في الوجود الا الواحد الحق لكن منهم من كان له هذه
الحالة عرفانا علميا ومنهم من صار له ذوقا وحالا وانتفت عنهم
الكثرة بالكلية واستغرقوا بالفردانية المحضة واستهوت فيها عقولهم
فصاروا كالمبهوتين فيه ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله ولا لذكر

أنفسهم أيضاً فلم يبق عندهم الا الله فسكروا سكراً وقع دونه سلطان
عقولهم فقال بعضهم أنا الحق وقال الآخر سبحاني ما أعظم شأني
وقال الآخر مافي الجبة الا الله وكلام العشاق في حال السكر
يطوى ولا يحكى فلما خف عنهم سكرهم وردوا الى سلطان العقل
الذي هو ميزان الله في أرضه عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد
بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق في حال فرط العشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بدنا

فلا يبعد أن يفجأ الانسان مرآة فينظر فيها ولم ير المرآة
قط فيظن أن الصورة التى رآها في المرآة هي صورة المرآة متحدة
بها ويري الخمر في الزجاج فيظن أن الخمرة لون الزجاج فاذا صار
ذلك عنده مألوفا ورسخ فيه قدمه استغرقه فقال

رق الزجاج ورافت الخمر   وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

وفرق بين أن يقال الخمر قدح وبين أن يقال كأنه القدح
وهذه الحالة اذا غلبت سميت بالاضافة الى صاحب الحال فناء بل
فناء الفناء لانه فنى عن نفسه وفني عن فنائه فانه ليس يشعر بنفسه
في تلك الحال ولا بعدم شعوره بنفسه ولوشعر بعدم شعوره بنفسه
لكان قد شعر بنفسه وتسمي هذه الحال بالاضافة الى المستغرق فيها
بلسان المجاز اتحاداً وبلسان الحقيقة توحيداً ووراء هذه الحقائق
أيضا أسرار لا يجوز الخوض فيها

﴿ خاتمة ﴾ لعلك تشتهي أن تعرف وجه اضافة نوره الى
السموات والارض بل وجه كونه في ذاته نور السموات والارض
ولا ينبغى أن يخفى ذلك عليك بعد أن عرفت أنه النور ولا نور
سواه وانه كل الانوار وانه النور الكلي لان النور عبارة عما
تنكشف به الاشياء وأعلى منه ماينكشف به وله واعلا منه ماينكشف
به وله ومنه وان الحقيقى منه ماينكشف به وله ومنه وليس فوقه نور
منه اقتباسه واستمداده بل ذلك له في ذاته من ذاته لذاته لا من
غيره ثم عرفت أن هذا لا يتصور ولن يتصف به الا النور الاول
ثم عرفت أن السموات والارض مشحونة نوراً من طبيعتى النور
أعنى المنسوب الى البصر والبصيرة أي الى الحس والعقل أما
البصري فما نشاهده في السموات من الكواكب والشمس والقمر
وما نشاهده في الارض من الاشعة المنبسطة على كل ما في الارض
حتى ظهرت به الالوان المختلفة خصوصا في الربيع وعلى كل حال
من الحيوانات والنباتات والمعادن وأصناف الموجودات ولولاها لم يكن
للالوان ظهور بل وجود ثم سائر ما يظهر للحس من الاشكال
والمقادير يدرك تبعاً للالوان ولا يتصور ادراكها الا بواسطتها وأما
الانوار العقلية المعنوية فالعالم الاعلى مشحون بها وهي جواهر
الملائكة والعالم الاسفل مشحون بها وهي الحياة الحيوانية ثم الانسانية
وبالنور الانساني السفلي ظهر نظام العالم السفلي كما أن بالنور
الملكي ظهر نظام العالم العلوي وهو المعنى بقوله « وهو

الذى أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » وقال « ليستخلفهم
في الارض » وقال « ويجعلكم خلفاء الارض » وقال « انى جاعل
في الارض خليفة » فاذا عرفت هذا عرف ان العالم بأسره مشحون
بالانوار الظاهرة البصرية والباطنة العقلية ثم عرفت ان السفلية
فائضة بعضها من بعض فيضان النور من السراج وان السراج هو
النور النبوى القدسى وان الارواح النبويه القدسية مقتبسة من الارواح
العلوية اقتباس السراج من النار وان العلويات بعضها مقتبس من
بعض وان ترتيبها ترتيب مقامات ثم ترتقي جملتها الى نور الانوار
ومعدنها ومنبعها الاول وان ذلك هو الله وحده لا شريك له وان
سائر الانوار مستعارة منه وانما الحقيقي نوره فقط وان الكل من
نوره بل هو لا هوية لغيره الا بالمجاز فاذاً لا نور الا هو وسائر الانوار
أنوار من الوجه الذى تليه لا من ذاتها فوجه كل موجه اليه ومولى
شطره « وأينما تولوا فثم وجه الله » فاذاً لا اله الا هو فان الاله
عبارة عما الوجوه مولية نحوه بالعبادة والتأليه أعنى وجوه القلوب
فانها الانوار والارواح بل كما لا اله الا هو فلا هو الا هو فان هو
عبارة عما اليه الاشارة وكيفما كان فلا اشارة الا اليه بل كلما أشرت
فهو بالحقيقة الاشارة اليه وان كنت لا تعرفه انت لغفلتك عن
حقيقة الحقائق التي ذكرناها ولا إشارة إلى نور الشمس بل إلى
الشمس فكل مافي الوجود فنسبته اليه في ظاهر المثال كنسبة النور
إلى الشمس فاذاً لا إله إلا الله توحيد العوام ولا هو إلا هو توحيد

الخواص لان ذلك أعم وهذا أخص وأشمل وأحق وأدق وأدخل
بصاحبه في الفردانية المحضة والوحدانية الصرفة ومنتهى معراج
الخلائق مملكة الفردانية فليس وراء ذلك مرقاة اذ الرقي لا يتصور إلا
بكثرة فانه نوعُ إضافة يستدعى مامنه الارتقاء وما اليه لارتقاء
وإذا ارتفعت الكثرة حقت الوحدة وبطلت الاضافة وطاحت الاشارة
فلم يبق علو ولا سفل ولا نازل ولا مرتفع فاستحال الترقى واستحال
العروج فليس وراء الاعلى علو ولا مع الوحدة كثره ولا مع انتفاء الكثرة
عروج فان كان ثم تغيير من حال فبالنزول الى السماء الدنيا أعنى
بالاشراق من علو الى أسفل لان الاعلى وان لم يكن له أعلى فله
أسفل فهذا غاية الغايات ومنتهى الطلبات يعلمه من يعلمه وينكره
من يجهله وهو من العلم الذى هو كنهه المكنون الذى لا يعلمه الا
العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا أهل الغرة بالله ولا
يبعد ان قال العلماء ان النزول الى سماء الدنيا هو نزول ملك
فقد توهم بعض العارفين ما هو أبعد منه اذ قال هذا المستغرق
بالفردانية له نزول الى سماء الدنيا وان ذلك هو نزوله الى استعمال
الحواس أو تحريك الاعضاء واليه الاشارة بقوله عليه الصلاة
والسلام « صرت سمعه الذى يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه
الذى ينطق به » واذا كان هو سمعه وبصره ولسانه فهو السامع
والباصر والناطق اذاً لا غيره * واليه الاشارة بقوله لموسى عليه السلام
مرضت فلم تعدني الحديث فحركات هذا الموحد من السماء الدنيا

واحساساته من سماء فوقها وعقله فوق ذلك وهو يترقى من سماء
العقل الى منتهى معراج الخلائق ومملكة الفردانية الى سبع طبقات
ثم بعد يستوى على عرش الوحدانية ومنه يدبر الامر الى طبقات
سمواته فربما نظر الناظر اليه فأطلق القول بأن الله خلق آدم على
صورة الرحمن الى أن يمعن النظر فيه فيعلم ان ذلك له تأويل كقوله
أنا الحق وسبحانى بل كقوله عليه الصلاة والسلام مرضت فلم تعدنى
وكنت سمعه وبصره ولسانه فأرى الآن امساك عنان البيان فما
أراك تطيق من هذا الفن أكثر من هذا المقدار

(مساعدة) لعلك لا تسمو الى هذا الكلام بهمتك بل تقصر
دون ذروة همتك فخذ اليك كلاماً أقرب الى فهمك وأقرب لضعفك
واعلم ان معنى كونه نور السموات والارض تعرفه بالنسبة الى
النور الظاهرى البصري فاذا رأيت ألوان الربيع وخضرتها مثلا في
ضياء النهار فلست تشك في انك ترى الالوان وربما ظننت انك
لست ترى مع الالوان غيرها فكانك تقول لست أرى مع الخضرة
غيرها ولقد أصر على هذا أقوام فزعموا ان النور لا معنى له وانه
ليس مع الالوان غير الالوان فانكروا وجود النور مع انه أظهر
الاشياء وكيف لا وبه تظهر الاشياء وهو الذي يبصر في نفسه ويبصر
به غيره كما سبق لكن عند غروب الشمس وغيبة السراج ووقوع
الظل أدركوا تفرقة ضرورية بين محل الظل وبين موضع الضياء
فاعترفوا بان النور معنى وراء الالوان يدرك مع الالوان حتى كأنه

لشدة اتحاده بها لا يدرك ولشدة ظهوره يخفى وقد تكون شدته
سبب الخفاء والشيء اذا جاوز حده انعكس على ضده فاذا عرفت
هذا فاعلم ان أرباب البصائر ما رأوا شيئاً الا ورأوا الله معه وربما
زاد على هذا بعضهم فقال ما رأيت شيئاً الا رأيت الله قبله لان منهم
من يرى الاشياء به ومنهم من يرى الاشياء فيراه بالاشياء والى الاول
الاشارة بقوله « أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » والى
الثاني الاشارة بقوله « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم »
فالاول صاحب مشاهدة والثانية صاحب استدلال بآياته والاولى
درجة الصدّيقين والثانى درجة العلماء الراسخين وليس بعدهما الا
درجة الغافلين المحجوبين فاذا عرفت هذا فاعلم انه كما ظهر كل شيء
للبصر بالنور الظاهر فقد ظهر كل شيء للبصيرة الباطنة بالله فهو مع
كل شيء لا يفارقه وبه يظهر كل شيء ولكن بقي ها هنا تفاوت
وهو ان النور الظاهر يتصور ان يغيب بغروب الشمس ويحجب
حتى يظهر الظل وأما النور الالهي الذى به يظهر كل شيء لا يتصور
غيبته بل يستحيل غروبه فيبقى مع الاشياء كلها دائماً فانقطع طريق
الاستدلال بالتفرقة ولو تصورت غيبته لانهدمت السموات والارض
ولادرك به من التفرقة ما يضطر معه الى المعرفة بما به ظهرت الاشياء
ولكن لما تساوت الاشياء كلها على نمط واحد في الشهادة لوحدانية
خالقها اذ كل شيء يسبح بحمده لا بعض الاشياء وفي جميع الاوقات
لا في بعض الاوقات ارتفع التفريق وخفى الطريق اذ الطريق الظاهر

معرفة الاشياء بالاضداد فما لا ضد له ولا نقيض تتشابه الاحوال في
الشهادة له فلا يبعد ان يخفى ويكون خفاؤه لشدة جلائه والغفلة عنه
لاشراق ضيائه فسبحان من اختفى عن الخلق لشدة ظهوره واحتجب
عنهم لاشراق نوره وربما أيضاً لا يفهم هذا الكلام بعض القاصرين
فيفهم من قولنا ان الله مع كل شيء كالنور مع الاشياء انه في كل
مكان تعالى وتقدس عن النسبة الى المكان بل الابعد عن اثارة
هذا الخيال ان نقول لك بانه قبل كل شيء وانه فوق كل شيء
وانه مظهر كل شيء والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة صاحب البصيرة
فهذا الذي نعنى بقولنا انه مع كل شيء ثم لا يخفى عليك أيضاً ان
المظهر قبل المظهر وفوقه مع انه معه لكنه معه بوجه وقبله بوجه فلا تظن
انه متناقض واعتبر بالمحسوسات التي هي قدر درجتك في العرفان
وانظر كيف تكون حركة اليد مع حركة ظل اليد وقبلها أيضاً ومن
لم يتسع صدره لمعرفة هذا فليهجر هذا النمط من العلم فلكل علم رجال
وكل ميسر لما خلق له

الفصل الثاني

في بيان مثال المشكاة والمصباح والزجاجة والشجرة والزيت والنار

وبيان ذلك يستدعى تقديم قطبين يتسع المجال فيهما الى غير
حد محدود ولكني أشير اليهما بالرمز والاختصار .. أحدهما في
بيان سر التمثيل ومنهاجه ووجه ضبط أرواح المعاني بقوالب الامثلة
ووجه كيفية المناسبة بينهما وكنه الموازنة بين عالم الشهادة التي
منها يتخذ طينة الامثال وبين عالم الملكوت الذي منه تنزل ارواح
المعاني .. والقطب الثاني في طبقات أرواح الطينة البشرية ومراتب
أنوارها فان هذا المثال مسوق لبيان ذلك وقد قرأ ابن مسعود (مثل
نوره في قلب المؤمن كمشكاة فيها) وقرأ أبي بن كعب (مثل نور
قلب من آمن كمشكاة فيها)

« - القطب الاول في بيان سر التمثيل ومنهاجه» - اعلم ان
العالم عالمان روحاني وجسماني وان شئت قلت حسي وعقلي وان
شئت قلت علوي وسفلي والكل متقارب وانما يختلف باختلاف
العبارات فاذا اعتبرتهما في أنفسهما قلت جسماني وروحاني واذا
اعتبرتهما بالاضافة الى العين المدركة لهما قلت حسي وعقلي وان
اعتبرتهما باضافة أحدهما الى الآخر قلت علوي وسفلي وربما سميت
احدهما عالم الملك والشهادة والآخر عالم الغيب والملكوت ومن
ينظر الى الحقائق من الالفاظ ربما يتحير من كثرتها ويتخيل كثرة

المعانى والذي تنكشف له الحقائق يجعل المعاني أصلا والالفاظ تابعة وأمر الضعيف بالعكس منه اذ يطلب الحقائق من الالفاظ والى الفريقين الاشارة بقوله تعالى « أفمن يمشي مكبًا على وجهه أهدى أمن يمشي سويًا على صراط مستقيم » واذ قد عرفت معنى العالمين فاعلم ان العالم الملكوتي العلوي عالم غيب اذ هو غائب عن الاكثر والعالم الحسى عالم الشهاة اذ يشهده الكافة والعالم الحسى مرقاة الى العالم العقلى ولو لم يكن بينهما اتصال ومناسبة لانسد طريق الترقي اليه ولو تعذر ذلك لتعذر السفر الى الحضرة الربوبية والقرب من الله فلن يقرب من الله أحد ما لم يطأ بحبوحة حظيرة القدس والعالم المرتفع عن ادراك الحس والخيال هو الذي نعنيه بعالم القدس واذا اعتبرت جملته بحيث لايخرج منه شيء ولا يدخل فيه ماهو غريب منه سميناه حظيرة القدس وربما سمينا الروح البشري الذى هو مجرى لوائح القدس الوادى المقدس ثم هذه الحظيرة فيها حظائر بعضها أشد امعانا في معانى القدس ولكن لفظ الحظيرة محيط بجميع طبقاتها فلا تظنن أن هذه الالفاظ طامات غير معقولات عند أرباب البصائر

واشتغالي الآن بشرح كل لفظ مع ذكره يصدني عن المقصد فعليك بالتشمير لفهم الالفاظ فارجع الى الغرض فأقول لما كان عالم الشهاد مرقى الى عالم الملكوت كان سلوك الصراط المستقيم عبارة عن هذا الترقي وقد يعبر عنه بالدين وبمنازل الهدى فلو لم

يكن بينهما مناسبة واتصال لما تصور الترقى من أحدهما الى الآخر فجعلت الرحمة الالهية عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت فما من شيء في هذا العالم الا وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثالا لاشياء من عالم الملكوت وربما كان للشيء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة وانما يكون مثالا اذا ماثله نوعًا من المماثلة وطابقه نوعًا من المطابقة واحصاء تلك الامثلة يستدعى استقصاء جميع موجودات العالمين بأسرها ولن تفي به القدرة البشرية ولم تتسع لفهمه القوة البشرية ولا تفي لشرحه الاعمار القصيرة فغايتى أن أعرفك منها أنموذجا لتستدل باليسير منها على الكثير وينفتح لك باب الاستبصار بهذا النمط من الاسرار فأقول ان كان في عالم الملكوت جواهر نورانية شريفة عالية يعبر عنها بالملائكة منها تفيض الانوار على الارواح البشرية ولاجلها قد تسمى أربابًا فيكون الله رب الارباب لذلك ويكون لها مراتب في نورانيتها متفاوتة فبالحرى أن يكون مثالها من عالم الشهادة الشمس والقمر والكواكب وسالك الطريق يترقى أولا الى ما درجته درجة الكوكب فيتضح له اشراق نوره وينكشف له أن العالم الاسفل بأسره تحت سلطانه وتحت اشراق نوره ويتضح له من جماله وعلو درجته ماينادى فيقول هذا ربى ثم اذا اتضح له ما فوقه مما رتبته رتبة القمر رأى أفول الاول في مضرب الهوى أي بالاضافة الى ما فوقه أفولا فقال لا أحب الآفلين فكذلك يترقى حتى ينتهى الى ما مثاله الشمس

فيراه أكبر وأعلى قابلا المثال بنوع مناسبة له معه والمناسبة مع
ذي النقص نقص وأقول أيضا فمنه من يقول (وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين) ومعنى الذي
اشارة مبهمة لا مناسبة لها إذ لو قال قائل ما مثال مفهوم الذى لم
يتصور أن يجاب عنه فالمنزه عن كل مناسبة هو الله الحق ولذلك
لما قال بعض الاعراب لرسول الله ما نسبة الله نزل في جوابه (قل
هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) معناه
التقدس عن النسبة ولذلك لما قال فرعون لموسى وما رب العالمين
كالطالب لماهيته لم يجبه الا بأفعاله إذ كانت الافعال أظهر عند السائل
فقال رب السموات والارض فقال فرعون لمن حوله ألا تسمعون
كالمنكر عليه في عدوله في جوابه عن طلب الحقيقة فقال موسى (ربكم
ورب آبائكم الاولين) فنسبه فرعون الى الجنون اذ كان مطالبه المثال
والماهية وهو يجيب عن الافعال بالافعال وقال فرعون أن رسولكم
الذي أرسل اليكم لمجنون * ولنرجع الآن الى الانموذج فنقول علم
التعبير يعرفك مقدار ضرب المثال لان الرؤيا جزء من النبوة أما
ترى أن الشمس في الرؤيا تعبيرها السلطان لما بينهما من المشاركة
والمماثلة في معنى روحانى وهو الاستعلاء على الكافة مع فيضان
الآثار والانوار على الجميع والقمر تعبيره الوزير لافاضة الشمس
نورها بواسطة القمر على العالم عند غيبتها كما يفيض السلطان آثاره
بواسطة الوزير على من يغيب عن حضرة السلطان وان من يرى أن

في يده خاتماً يختم به أفواه الرجال وفروج النساء فانه يعبر له أنه
يؤذن قبل الصبح في رمضان ومن رأى أنه يصب الزيت في الزيتون
تعبيره ان تحته جارية هي أمه وهو لا يعرفها فاستقصاء أبواب
التعبير في أمثال هذا الجنس غير ممكن فلا يمكنني الاشتغال بعدها
بل أقول كما أن في الموجودات العالية الروحانية ما مثاله الشمس
والقمر والكواكب كذلك منها ماله أمثلة أخرى اذا اعتبرت معها
أوصاف أخرى سوى النورانية فان كان في تلك الموجودات ماهو
ثابت لا يتغير وعظيم لا يستصغر ومنه تتفجر الى أودية القلوب
البشرية مياه المعارف ونفائس المكاشفات فمثاله الطور وان كان
الموجودات التى تتلقى تلك النفائس بعضها أولى من بعض فمثالها
الوادي وان كانت تلك النفائس بعد اتصالها بالقلوب البشرية
تجرى من قلب الى قلب فهذه القلوب أيضا أودية ومفتتح الوادى
قلوب الانبياء والاولياء والعلماء ثم من بعدهم فان كانت هذه الاودية
دون الاول منها تغترف فبالحرى أن يكون الاول هو الوادى الايمن
دون لجته وميدانه وان كان روح النبى سراجا منيراً وكان ذلك
الروح مقتبساً بواسطة وحى كما قال (أوحينا اليك روحا من أمرنا)
فما منه الاقتباس مثاله النار وان كان المتلقون من الانبياء بعضهم على
محض التقليد لما يسمعه وبعضهم على حظ من البصيرة فمثال المقلد
الغير المستبصر الجذوة والقبس والشهاب وصاحب الذوق مشارك للنبي
في بعض الاحوال ومثال تلك المشاركة الاصطلاء وانما يصطلى بالنار

من معه النار لا من سمع خبرها وان كان أول منزل الانبياء الترقي الى العالم المقدس عن كدورة الحس والخيال فمثال ذلك المنزل الوادى المقدس وان كان لا يمكن وطء ذلك الوادى المقـدس إلا باطراح الكونين أعنى الدنيـا والآخرة والتوجه الى الواحد الحق وكانت الدنيا والآخرة متقابلتين متحاذيتين وهما عارضان للجوهر النورانى البشرى يمكن اطراحها مرة والتلبس بهما أخرى فمثال اطراحها عند الاحرام والتوجه إلى كعبة القدس خلع النعلين بل نترقى إلى الحضرة الربوبية مرة أخرى فنقول إن كان في تلك الحضرة شيء بواسطته تنتقش العلوم المفصلة في الجواهر القابلة فمثاله القلم وإن كان في تلك الجواهر القابلة للتلقى ما انتقش بالعلوم فمثاله اللوح والكتاب والرق المنشور وان كان فوق الناقش للعلوم شيء هو مسخر له فمثاله اليد وان كان لهذه الحضرة المشتملة على اليد واللوح والقلم والكتاب ترتيب منظوم فمثاله الصورة وإن كان يوجد للصورة الانسية ترتيب منظوم على هذه الشاكلة فهي على صورة الرحمن وفرق بين أن يقال على صورة الرحمن وبين أن يقال على صورة الله إذ الرحمة الالهية هي التى على صورة الحضرة الالهيـة بهذه الصورة ثم أنعم على آدم فأعطاه صورة مختصره جامعة لجميع أصناف ما في العالم حتى كأنه كل ما في العالم أو هو نسخة من العـالم مختصرة وصورة آدم أعنى هذه الصورة مكتوبة بخط الله فهو الخط الالهي الذي ليس برقم حروف إذ يتنزه خطه عن أن يكون رقماً وحروفا كما يتنزه

كلامه عن أن يكون صوتاً وحروفاً وقلمه عن أن يكون قصبا وحديداً ويده عن أن تكون لحماً وعظما ولولا هذه الرحمة لعجز الآدمي عن معرفة ربه إذ لا يعرف ربه إلا من عرف نفسه فلما كان هذا من آثار الرحمة كان على صورة الرحمن لا على صورة الله فحضرة الالهية غير حضرة الرحمن وغير حضرة الملك وغير حضرة الربوبية ولذلك أمر بالعيـاذ بجميع هذه الحضرات فقال (قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس) ولولا هذا المعنى لكان قوله ان الله خلق آدم على صورة الرحمن غير منظوم لفظا بل كان ينبغي أن يقول على صورته واللفظ الوارد في الصحيح على صورة الرحمن ولان تمييز حضرة الملك عن حضرة الربوبية يستدعى شرحا طويلا فلنتجاوزه ويكفيك من الانموذج هذا القدر فانه بحر لا ساحل له فان وجدت في نفسك نفوراً عن هذه الامثال فاستأنس بقوله تعالى (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية فانه قد ورد في التفسير ان الماء هو المعرفة والاودية القلوب

(خاتمة واعتذار) لا تظنن من هذا الانموذج وطريق ضرب الامثال رخصة منى في رفع الظواهر واعتقاداً في إبطالها حتى أقول مثلا لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك حاشا لله فان إبطال الظواهر رأى الباطنية الذين نظروا بالعين العوراء الى أحد العـالمين وجهلوا جهلا بالموازنة بينهما فلم يفهموا وجهه كما ان ابطال الاسرار مذهب الحشوية فالذى يجرد الظاهر

حشوى والذى يجرد الباطن باطنى والذى يجمع بينهما كامل ولذلك قال عليه الصلاة والسلام (للقرآن ظاهر وباطن وحد ومطلع) وربما نقل هذا عن علي موقوفا عليه بل أقول موسى فهم من الامر بخلع النعلين اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهراً بخلع نعليه وباطنا بخلع العالمين فهذا هو الاعتبار أى العبور من شيء الى غيره ومن ظاهر الى سر وفرق بين من يسمع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لاتدخل الملائكة بيتا فيه كلب أو صورة» فيقتنى الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مراداً بل المراد تخلية بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التى هي من انوار الملائكة اذ الغضب غول العقل وبين من يمتثل الامر بالظاهر ثم يقول ليس الكلب بصورته بل بمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا عليه أن يحفظ عن صورة الكلبية فلأن يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقى الخاص عن سر الكلبية كان اولى فان من يجمع بين الظاهر والباطن جميعا فهذا هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لايطفىء نور معرفته نور ورعه وكذلك ترى الكامل لايسمح لنفسه بترك حد من حدود الشرع مع كمال البصيرة فهذه مغلطة منها ماوقع لبعض السالكين في إباحة طي بساط الاحكام ظاهراً حتى ربما ترك احدهم الصلاة وزعم انه دائماً في الصلاة بسره وهذا اشد مغلطة الحمقاء من الاباحية الذين تأخذهم ترهات كقول بعضهم ان

الله غني عن عملنا وقول بعضهم ان الباطن مشحون بالخبائث ليس يمكن تزكيته منها ولا مطمع في استئصال الغضب والشهوة لظنه أنه مأمور باستئصالها فهذه حماقات وأما ماذكرناه فهو ككبوة جواد وهفوة سالك صده الشيطان فدلاه بحبال الغرور وارجع إلى حديث النعلين فأقول : ظاهر خلع النعلين منبه على ترك الكونين فالمثال في الظاهر حق واداؤه الى السر الباطن حقيقة ولكل حق حقيقة وأهل هذه الرتبة هم الذين بلغوا درجة الزجاجة كما سيأتي معنى الزجاجة لان الخيال الذى من طينته يتخذ المثال صلب كثيف يحجب الاسرار ويحول بينك وبين الانوار ولكن اذا صفا صار كالزجاج الصافي وصار غير حائل عن الانوار بل صار مع ذلك مؤديا للانوار بل صار مع ذلك حافظا للانوار عن الانطفاء بعواصف الرياح فستأتيك قصة الزجاجة فاعلم أن العالم الكثيف الخيالى السفلى صار في حق الانبياء عليهم السلام زجاجة ومشكاة للانوار ومصفاة للاسرار ومرقاة الى العالم الاعلى وبهذا يعرف ان المثال الظاهر حق ووراءه هذا سر وقس عليه الضوء والنهار وغيره (دقيقة) اذا قال عليه الصلاة والسلام رأيت عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة حبوا فلا تظن أنه لم يشاهده بالبصر كذلك بل رآه في يقظته كما يراه النائم في نومه وان كان عبد الرحمن بن عوف نائما في البيت بشخصه فان النوم انما أثر في أمثال هذه المشاهدات لقهره سلطان الحواس عن النور الباطن الالهي فان الحواس شاغلة وجاذبة الى عالم الحس وصارفة وجهه عن عالم الغيب والملكوت وبعض الانوار النبوية قد تصفى وتستولى بحيث لا تجذبه الحواس إلى عالمها ولا تشغله فيشاهد في اليقظة ما يشاهده غيره في المنام لكنه اذا كان في غاية الكمال لم يقتصر ادراكه على محض الصورة المبصرة بل عبر منها الى السر فانكشف له أن الايمان جاذب الى العالم الاعلى الذي يعبر عنه بالجنة والغنى والثروة جاذبة إلى الحياة الحاضرة وهي العالم

الاسفل فاذا كان الجاذب إلى أشغال الدنيا أقوى مقاومة من الجاذب
لآخر صد عن السير الى الجنة فان كان جاذب الايمان أقوى أورث عسراً أو
بطئاً في سيره فيكون مثاله من عالم الشهادة الحبو فكذلك تجلى الاسرار من
وراء زجاجات الخيال وذلك لا يقصر في حكمه على عبد الرحمن وان كان
إبصاره مقصوراً عليه بل يحكم به عن كل من قويت بصيرته واستحكم ايمانه
وكثرت ثروته كثرة تزاحم الايمان لكن لا تقاومه لرجحان قوة الايمان فهذا
يعرفك كيفية إبصار الانبياء الصور وكيفية مشاهدتهم المعانى من وراء
الصور والاغلب أن يكون المعنى سابقاً الى المشاهدة الباطنية ثم يشرف منه
على الروح الخيالي فينطبع بصورة موازية للمعنى محاكية له وهذا الحظ من
الوحي في اليقظة يحتاج إلى التأويل كما أنه في النوم يفتقر الى التعبير والواقع
منه في النوم نسبته إلى الخواص النبوية نسبة الواحد إلى ستة وأربعين
والواقع منه في اليقظة نسبته أعظم من ذلك وأظن ان نسبته نسبة الواحد إلى
الثلاثة فان الذى انكشف لنا أن الخواص النبوية تنحصر شعبها في ثلاثة
أجناس وهذا واحد من تلك الاجناس الثلاثة — (القطب الثانى في بيان
مراتب الارواح البشرية النورانية إذ بمعرفتها تعرف أمثلة القرآن) فالاول
منها الروح الحساس وهو الذى يتلقى ما تورده الحواس اذ كان أصل الروح
الحيوان وأوله وبه يصير الحيوان حيواناً وهو موجود للصبى الرضيع .
الثانى الروح الخيالى وهو الذي يكتب ما أوردته الحواس ويحفظه
مخزوناً عنده ليعرضه على الروح العقلي فوقه عند الحاجة اليه وهذا
لا يوجد للصبي الرضيع في بداية نشوئه ولذلك يولع بالشيء ليأخذه
فاذا غيب عنه ينساه ولا تنازعه نفسه اليه الى أن يكبر قليلا بحيث
اذا غيب عنه بكى وطلب ذلك لبقاء صورته محفوظة في خياله وهذا
قد يوجد لبعض الحيوانات دون بعض ولا يوجد للفراش المتهافت على

النار لانه يقصد النار لشغفه بضياء النهار فيظن ان السراج كوة
مفتوحة الى موضع الضياء فيلقي نفسه عليه فيتأذى به لكنه اذا
جاوزه وحصل في الظلمة عاوده مرة أخرى بعد مرة ولو كان له الروح
الحافظ المستثبت لما أداه الحس اليه من الالم لما عاوده بعد ان
تضرر به مرة فالكلب إذا ضرب مرة بخشبة فاذا رأى الخشبة بعد
ذلك هرب . الثالث الروح العقلي الذى يدرك المعانى الخارجة
عن الحس والخيال وهو الجوهر الانسي الخاص ولا يوجد للبهائم
ولا الصبيان ومدركاته المعارف الضرورية الكلية كما ذكرناه عند
ترجيح نور العقل على نور العين . الرابع الروح الفكرى وهو الذى
يأخذ العلوم العقلية المحضة فيوقع بينها تأليفات وازدواجات ويستنتج
منها معارف نفيسة ثم اذا استفاد نتيجتين مثلا ألف بينهما مرة اخرى
واستفاد نتيجة مرة أخرى ولا تزال تتزايد كذلك الى غير نهاية . الخامس
الروح القدسى النبوى الذى يختص به الانبياء وبعض الاولياء وفيه
تتجلى لوائح الغيب وأحكام الآخرة وجملة من معارف ملكوت
السموات والارض بل من المعارف الربانية التى تقصر دونها الروح
العقلى والفكرى واليه الاشارة بقوله تعالى (وكذلك أوحينا اليك روحاً
من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم)
ولا يبعد أيها المعتكف في عالم العقل ان يكون وراء العقل طور
آخر يظهر فيه ما لا يظهر فى العقل كما لم يبعد كون العقل طوراً

وراء التمييز والاحساس ينكشف فيه غرائب وعجائب يقصر عنها
الاحساس والتمييز فلا تجعل أقصى الكمال وقفاً على نفسك وان
أردت مثالا مما تشاهده من جملة خواص بعض البشر فانظر الى
ذوق الشعر كيف يختص به قوم من الناس وهو نوع ادراك ويحرم
منه بعضهم حتى لا تتميز عندهم الالحان الموزونة من المزحفة وانظر
كيف عظمت قوة الذوق في آخرين حتى استخرجوا منها الموسيقى
والاغانى وصنوف الدستانات التى منها المحزن ومنها المطرب ومنها
المنوم ومنها المبكي ومنها المجنن ومنها القاتل ومنها الموجب للغشى
وانما تقوى هذه الآثار فيمن له أصل الذوق وأما العاطل عن خاصية
الذوق فانه يشارك في سماع الصوت وتضعف فيه هذه الآثار وهو
يتعجب من صاحب الوجد والغشى ولو اجتمع العقلاء كلهم من
أرباب الذوق على تفهيمه معنى الذوق لم يقدروا عليه فهذا مثال
في أمر خسيس لانه قريب الى فهمك فقس به الذوق الخاص
النبوي واجتهد في أن تصير من أهل الذوق بشيء من تلك الروح
فان للاولياء منه حظا وافراً فان لم تقدر فاجتهد أن تصير بالاقيسة
التى ذكرناها والتشبيهات التى رمزنا اليها من أهل العلم بها فان
لم تقدر فلا أقل من أن تكون من أهل الايمان بها (ويرفع الله الذين
آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) والعلم فوق الايمان والذوق
فوق العلم والذوق وجدان والعلم قياس والايمان قبول مجرد بالتقليد
وحسن الظن باهل الوجدان أو بأهل العرفان واذا عرفت هذه

الارواح الخمسة فاعلم أنها بجملتها أنوار اذ بها تظهر أصناف
الموجودات والحسي والخيالي منها وان كان يشارك البهائم في جنسها
لكن الذي للانسان منها نمط آخر أشرف وأعلى وخلقا في الانسان
لغرض آخر أجلى واسنى وأما الحيوانات فلم يخلقا لها الا ليكونا
آلتها في طلب غذائها وتسخيرها للآدميين وانما خلقا للآدمي
ليكونا شبكة له يقتنص بهما فى جهة العالم الاسفل مبادىء المعارف
الدينية الشريفة إذ الانسان إذا أدرك بالحس شخصاً معيناً اقتبس
من عقله معنى عاما مطلقاً كما ذكرنا فى مثال عبد الرحمن بن عوف
فاذا عرفتُ هذه الارواح الخمسة فلنرجع الى غرض الامثلة
(بيان أمثلة هذه الآية) اعلم أن القول فى موازنة هذه
الارواح الخمسة للمشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت
يمكن تطويله لكنى أوجز واقتصر على التنبيه على طريقه فأقول
أما الروح الحاس فاذا نظرت الى خاصيته وجدت أنواره خارجة
من ثقب عدة كالعينين والاذنين والمنخرين وغيرهما فاوفق مثال
له في عالم الشهادة المشكاة وأما الروح الخيالي فتجد له خواص
ثلاثة (إحداها) أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لان الشيء
المتخيل ذو مقدار وشكل وجهات محصورة مخصوصة وهو على
نسبة من المتخيل من قرب أو من بعد ومن شأن الكثيف الموصوف
بأوصاف الاجسام ان يحجب عن الانوار العقلية المحضة التى تتنزه
عن الوصف بالجهات والمقادير والقرب والبعد (الثانية) أن هذا

الخيال الكثيف اذا صفى ورقق وهذب وضبط صار موازياً
للمعانى العقلية محاذيا لها وغير حائل عن اشراق نور منها (الثالثة)
ان الخيال فى بداية أمره محتاج اليه جداً لتنضبط له المعارف العقلية
فلا تضطرب ولا تتزلزل ولا تنتشر انتشاراً يخرج عن الضبط اذ
تجمع المثالات الخيالية للمعارف العقلية وهذه الخواص الثلاثة
لا تجدها فى عالم الشهادة بالاضافة الى الانوار المبصرة الا الزجاجة
فانها فى الاصل من جوهر كثيف لكن صفى ورقق حتى صار لا
يحجب نور المصباح بل يؤديه على وجهه ثم يحفظه عن الانطفاء
بالرياح العاصفة والحركات العنيفة فهى أولى مثال به . واما الثالث
وهو الروح العقلى الذى فيه ادراك المعانى الشريفة الالهية فلا يخفى
عليك وجه تمثيلها وقد عرفت هذا مما سبق من بيان معنى كون
الانبياء سراجا منيراً . واما الرابع وهو الروح الفكري فمن خاصيته
ان يبتدىء من اصل واحد ثم يتشعب شعبتين ثم كل شعبة شعبتين
وهكذا إلى ان تكثر الشعب بالتقسيمات العقلية ثم يفضى بالآخرة
الى نتائج تعود فتصير بذوراً لامثالها إذ يمكن ايضا تلقيح بعضها
بالبعض فيكون مثاله من هذا العالم الشجرة وإذا كانت ثمراتها مادة
لتضاعف المعارف وثباتها وبقائها فبالحرى ان لا تمثل بشجرة
السفرجل والتفاح والرمان وغيرها من جملة سائر الاشجار الا
بالزيتونة خاصة لان لب ثمرتها هو الزيت الذي هو مادة المصابيح
ويختص من بين سائر الادهان بخاصية زيادة الاشراق واذا كانت

الشجرة التي تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا تتناهى ثمرتها الى
حد محدود اولى ان تسمى شجرة مباركة وإذا كانت شعب
الافكار العقلية المحضة خارجة عن قبول الاضافة إلى الجهات والقرب
والبعد أن لا تكون شرقية ولا غربية وأما الخامس وهو الروح
القدسى النبوى والمنسوب إلى الاولياء إذا كان في غاية الاشراق
والصفاء وكانت الروح المفكرة منقسمة إلى ما يحتاج إلى تعليم
وتنبيه ومدد من خارج حتى يستمر في أنواع المعارف وبعضها
يكون في شدة الصفاء كانه تنبه من نفسه بغير مدد من خارج
فبالحرى ان يعبر عن الصافي القوى الاستعدد بانه يكاد زيته يضىء
ولو لم تمسسه نار إذ في الاولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد
يستغنى عن مدد الانبياء وفي الانبياء من يكاد يستغنى عن مدد الملائكة
فهذا المثال موافق لهذا القسم وإذا كانت هذه الانوار مرتبة بعضها
على بعض فالحسى هو الاول وهو كالتوطئة والتمهيد للخيالى إذ لا
يتصور الخيالي إلا موضوعا بعده والفكري والعقلي يكونان بعدهما
فبالحرى ان تكون الزجاجة كالمحل للمصباح والمشكاة كالمحل للزجاجة
فيكون المصباح في زجاجة والزجاجة في مشكاة وإذا كانت هذه كلها أنوار
بعضها فوق بعض فبالحرى أن تكون نوراً على نور فافهم والله الموفق
(خاتمة) هذا مثال إنما يصلح لقلوب المؤمنين أو لقلوب
الانبياء والاولياء لا لقلوب الكفار فان النور يراد للهداية فالمصروف
عن طريق الهدى باطل وظلمة بل أشد من الظلمة لان الظلمة لا

تهدى إلى باطل كما لا تهـدى الى حق وعقول الـكفار انتكست وكذلك سائر إدراكاتهم وتعاونت على الضلال في حقهم فمثالهم كرجل في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض والبحر اللجى هو الدنيـا بما فيهـا من الاخطار المهلكة والحوادث الرديئة والمكدرات المعمية والموج الاول موج الشهوات الباعثة الى الصفات البهيمية والاشتغـال باللذات الحسية وقضاء الاوطار الدنيوية حتى انهم يأكلون ويتمتعون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فبالحري ان يكون هذا الموج مظلما لان حب الشيء يعمي ويصم والموج الثانى موج الصفات السبعية الباعثة على الغضب والعداوة والبغضاء والحقد والحسـد والمباهاة والتفاخر والتكاثر وبالحرى ان يكون مظلما لان الغضب غول العقل وبالحرى ان يكون هو الموج الاعلى لان الغضب في الاكثر مستول على الشهوات حتى إذا ماج اذهـل عن الشهوات وأغفل عن اللذات فان الشهوة لا تقاوم الغضب الهائج أصلا وأما السحاب فهو الاعتقادات الخبيثة والظنون الـكاذبة والخيالات الفاسدة التي صارت حجبا بين الكافر وبين الايمان ومعرفة الحق والاستضاءة بنور شمس القرآن والعقل فان خاصية السحاب ان يحجب اشراق نور الشمس واذا كانت هذه كلها مظلمة فبالحرى ان تكون ظلمات بعضها فوق بعض واذا كانت هـذه الظلمات تحجب عن معرفة الاشياء القريبة فضلا عن البعيدة فلذلك تحجب

الـكفار عن معرفة عجائب أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مع قرب متناوله وظهوره بادنى تأمل فبالحرى ان يعبر عنه بانه إذا أخرج يده لم يكـد يراها واذا كان منبع الانوار كلها من النور الاول الحق كما سبق فبالحرى أن يعتقد كل موحد أن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ويكفيك هذا القدر من أسرار هذه الآية فاقنع

الفصل الثالث

في معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره

في بعض الروايات سبعمائة وفي بعضها سبعين الف

فأقول إن الله تعالى متجل في ذاته بذاته لذاته ويكون الحجاب بالاضافة إلى محجوب لا محالة وان المحجوبين من الخلق ثلاثة أقسام منهم من يحتجب بمجرد الظلمة ومنهم من يحتجب بمجرد النور المحض ومنهم من يحتجب بنور مقرون بظلمة وأصناف هذه الاقسام كثيرة تتحقق كثرتها ويمكننى ان أتكلف حصرها لـكنى لا أثق بما يلوح من تحديد وحصر إذ لا يدرى أهو المراد في الحديث أم لا أما الحصر الى سبعمائة أو سبعين الفا فذلك لا تستقل به الا القوة النبوية مع ان ظاهر ظنى ان هذه الاعداد مذكورة لا للتحديد وقد تجري العادة بذكر أعداد ولا يراد بها الحصر

بل التكثير والله أعلم بحقيقة ذلك فهو خارج عن الوسع وانما الذي
يمكنني الآن أن اعرفك هذه الاقسام وبعض أصناف كل قسم فأقول:
(القسم الاول) هم المحجوبون بمحض الظلمة وهم الملحدة الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر وهم الذين يستحبون الحياة الدنيا
على الآخرة لانهم لا يؤمنون بالآخرة أصلا وهم أصناف صنف
تشوق الى طلب سبب لهذا العالم فأحاله الطبع والطبع صفة مركوزة
فى الاجسام حالة فيها وهى مظلمة اذ ليس لها معرفة وإدراك ولا
خبرة لهامن نفسها ولا تصور لها وليس لهانور يدرك بالبصر الظاهر
أيضا . الصنف الثانى هم الذين شغلوا بأنفسهم ولم يتفرغوا لطلب
السبب بل عاشوا عيشة البهائم فكان حجابهم أنفسهم المركوزة
وشهواتهم المظلمة فلا ظلمة أشد من الهوى والنفس ولذلك قال
تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) وقال النبي صلى الله عليه وسلم
«الهوى أبغض إله عبد الى الله» وهؤلاء ينقسمون فرقاً ففرقة زعمت ان
غاية المطالب من الدنيا هى قضاء الاوطار ونيل الشهوات وإدراك اللذات
البهيمية من منكح ومطعم ومشرب وملبس فهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها
ويطلبونها ويعتقدون ان نيلها غاية السعادة رضوا لانفسهم بان يكونوا
بمنزلة البهائم بل كيلا ينظر الناس اليه بعين الحقارة وهؤلاء الاصناف
لا يحصون وكلهم محجوبون عن الله بمحض الظلمة وهي نفوسهم المظلمة
ولا معنى لذكر آحاد الفرق بعد وقوع التنبيه على الاجناس ويدخل فى
جملة هؤلاء جماعة يقولون بلسانهم لا اله الا الله ولكن ربما حمله على

ذلك خوف أو استظهار بالمسلمين أو تجمل بهم أو استمداد من مالهم
أو لاجل التعصب لنصرة مذهب الآباء وهؤلاء اذا لم تحملهم هذه
الكلمة على العمل الصالح فلا تخرجهم من الظلمات الى النور بل أولياؤهم
الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات فأما من أثرت فيه الكلمة
بحيث ساءته سيئاته وسرته حسناته فهو خارج عن محض الظلمة وان
كان كثير المعصية (القسم الثانى) طائفة حجبوا بنور مقرون بظلمة
وهم ثلاثة أصناف صنف منشأ ظلمتهم من الحس وصنف منشأ ظلمتهم
من الخيال وصنف منشأ ظلمتهم من مقايسات عقلية فاسدة * الصنف
الاول المحجوبون بالظلمة الحسية وهم طوائف لا يخلو واحد منهم
عن مجاوزة الالتفات الى نفسه وعن التأله والتشوق الى معرفة ربه وأول
درجاتهم عبدة الاوثان وآخرهم الثنوية وبينهما درجات .. الطائفة
الاولى عبدة الاوثان علموا فى الجملة ان لهم رباً يلزمهم ايثاره على
نفوسهم المظلمة واعتقدوا ان ربهم أعز من كل شيء وأنفس من كل
نفيس ولكن حجبتهم ظلمة الحس عن أن يتجاوزوا المحسوس فاتخذوا
من أنفس الجواهر كالذهب والفضة والياقوت أشخاصاً مصورة
بأحسن الصور واتخذوها آلهة فهؤلاء محجوبون بنور العزة والجمال
من صفات الله وأنواره ولكنهم الصقوها بالاجسام المحسوسة وصدهم
عن ذلك النور ظلمة الحس فان الحس ظلمة بالاضافة الى العالم الروحانى
كما سبق .. الطائفة الثانية جماعة من أقاصى الترك ليس لهم ملة ولا
شريعة يعتقدون أن لهم رباً وأنه أجمل الاشياء واذا رأوا إنساناً فى غاية

الجمال أو شجراً أو فرساً أو غير ذلك سجدوا له وقالوا انه ربنا وهؤلاء
محجوبون بنور الجمال مع ظلمة الحس وهم أدخل في ملاحظة النور من
عبدة الاوثان لأنهم يعبدون الجمال المطلق دون الشخص الخاص ولا
يخصصونه بشخص دون شخص ثم يعبدون الجمال المطبوع لا المصنوع
من جهتهم وبأيديهم . . الطائفة الثالثة قالوا ينبغي أن يكون ربنا
نورانيا في ذاته بهيا في صورته ذا سلطان في نفسه مهيباً في حضرته لا
يطاق القرب منه ولكن ينبغى أن يكون محسوساً اذ لا معنى لغير
المحسوس عندهم ثم وجدوا النار بهذه الصفة فعبدوها واتخذوها رباً
فهؤلاء محجوبون بنور السلطنة والبهاء وكل ذلك من أنوار الله تعالى
الطبقة الرابعة زعموا أن النار نستولى نحن عليها بالاشعال والاطفاء
فهي تحت تصرفنا فلا تصلح للالهية بل ما يكون بتلك الصفة أعنى
السلطنة والبهاء ثم نكون نحن تحت تصرفه ويكون مع ذلك موصوفاً
بالعلو والارتفاع ثم كان المشهور فيما بينهم علم النجوم واضافة
التأثيرات اليها فمنهم من عبد الشعرى ومنهم من عبد المشترى الى
غير ذلك من الكواكب بحسب ما اعتقدوه في النجوم من كثرة
التأثيرت فهؤلاء محجوبون بنور العلو والاشراق والاستيلاء وهي
من أنوار الله تعالى.. الطائفة الخامسة ساعدت هؤلاء في المأخذ ولكن
قالت لا ينبغى أن يكون ربنا موسوماً بالصغر والكبر بالاضافة الى
الجواهر النورانية بل ينبغى ان يكون أكبرها فعبدوا الشمس إذ
قالوا هي أكبر فهؤلاء محجوبون بنور الكبرياء مع بقية الانوار مقروناً

بظلمة الحواس ..الطائفة السادسة ترقوا عن هؤلاء فقالوا النور كله
لا تنفرد به الشمس بل لغيرها أيضاً انوار ولا ينبغى أن يكون للرب شريك
في نورانيته فعبدوا النور المطلق الجامع لجميع الانوار وزعموا
انه رب العالمين والخيرات كلها منسوبة اليه ثم رأوا في العالم شروراً
فلم يستحسنوا اضافتها الى ربهم تنزيها له عن الشر فجعلوا بينه وبين
الظلمة منازعة وأحالوا العالم إلى النور والظلمة وربما سموهما (يزدان
واهرمن) وهم الثنوية فيكفيك هذا القدر تنبيهاً على هذا الصنف فهم
اكثر من ذلك (الصنف الثاني) المحجوبون ببعض الانوار
مقرونا بظلمة الخيال وهم الذين جاوزوا الحس وأثبتوا وراء المحسوسات
امراً لكنهم لم يمكنهم مجاوزة الخيال فعبدوا موجوداً قاعداً على
العرش واخسهم رتبة المجسمة ثم اصناف الكرامية بأجمعهم ولا
يمكننى شرح مقالاتهم ومذاهبهم فلا فائدة للتكثير ولكن ارفعهم درجة
من نفى الجسمية وجميع عوارضها إلا الجهة المخصوصة بجهة فوق لان الذى
لا ينسب الى الجهات ولا يوصف بأنه خارج العالم ولا داخله لم يكن
عندهم موجوداً إذ لم يكن متخيلا ولم يدركوا ان اول درجات
المعقولات تجاوز النسبة إلى الجهات والحيز (الصنف الثالث) المحجوبون
بالانوار الالهية مقرونة بمقايسات عقلية فاسدة مظلمة فعبدوا الهاً سميعا
بصيراً عالما قادراً مريداً حياً منزهاً عن الجهات لكنهم فهموا هذه الصفات
على حسب مناسبة صفاتهم وربما صرح بعضهم فقال كلامه حروف
وأصوات ككلامنا وربما ترقي بعضهم فقال بل هو كحديث نفسنا

ولاحرف ولاصوت وكذلك اذا طولبوا بحقيقـة السمع والبصر
والحياة رجعوا الى التشبيه من حيث المعنى وان أنكروها باللفظ
اذ لم يدركوا أصلا معانى هذه الاطلاقات فى حق الله تعالى ولذلك
قالوا في إرادته انها حادثة مثل ارادتنا وانه طلب وقصد مثـل
قصدنا وهذه مذاهب مشهورة فلاحاجة الى تفصيلهـا وهؤلاء
محجوبون بجملة من الانوار مع ظلمة المقايسات العقليـة الفاسدة
فهؤلاء كلهم أصناف القسم الثانى الذين حجبوا بنور مقرون بظلمة
(القسم الثالث) هم المحجوبون بمحض الانوار وهم أصناف ولايمكن
احصاؤهم فأشير الى ثلاثة أصناف منهم .. الصنف الاول عرفوا
معنى الصفات تحقيقـاً وأدركوا ان اطلاق اسم الكلام والارادة
والقدرة والعلم وغيرها على صفاته ليس مثـل اطلاقه على البشر
فتحاشوا عن تعريفه بهذه الصفات وعرفوه بالاضافة الى المخلوقات
كما عرف موسى في جواب قول فرعون ومارب العالمين فقالوا ان
الرب المقدس عن معانى هذه الصفات محرك السموات ومدبرها ..
الصنف الثانى ترقوا عن هؤلاء من حيث ظهر لهم ان في السموات
كثرة وان محرك كل سماء خاصة موجود آخر يسمى ملكا وفيهم
كثرة وانما نسبتهم الى الانوار الالهية نسبة الكواكب في الانوار
المحسوسة ثم لاح لهم ان هذه السموات في ضمن فلك آخر يتحرك
الجميع بحركته في اليوم والليلة مرة فالرب هو المحرك للجرم الاقصى
المحتوى على الافلاك كلها إذ الكثرة منفية عنه .. الصنف الثالث

ترقوا عن هؤلاء وقالوا ان تحريك الاجسام بطريق المباشرة ينبغي
أن يكون خدمة لرب العالمين وعبادة له وطاعة من عبد من عبيده
يسمى ملكا نسبته الى الانوار الالهية المحضة نسبة القمر الى الانوار
المحسوسة فزعموا ان الرب هو المطاع من جهة هذا المحرك ويكون
الرب تعالى وجد محركا للكل بطريق الامر لابطريق المباشرة ثم في
تفهيم ذلك الامر وماهيته غموض يقصر عنه أكثر الافهام ولايحتمله
هذا الكتاب فهؤلاء أصناف كلهم محجوبون بالانوار المحضة وانما
الواصلون صنف رابع تجلى لهم أيضاً ان هذا المطاع موصوف
بصفة تنافي الوحدانية المحضة والكمال البالغ لسر ليس يحتمل هذا
الكتاب كشفه وان نسبة هذا المطاع الى الوجود الحق نسبة الشمس
الى النور المحض أو نسبة الجمر الى جوهر النار الصرف فتوجهوا من
الذى يحرك السموات ومن الذى أمر بتحريكها فوصلوا الى موجود
منزه عن كل ما أدركه بصر الناظرين وبصيرتهم إذ وجدوه منزهاً
ومقدساً عن جميع ماوصفناه من قبل .. ثم هؤلاء انقسموا فمنهم
من احترق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشي ولكن بقي
هو ملاحظاً للجمال والقدس وملاحظاً ذاته في جماله الذى ناله
بالوصول الى الحضرة الالهية فانمحقت فيه المبصرات دون المبصر
وجاوز هؤلاء طائفة منهم خواص الخواص فأحرقتهم سبحات
وجه الأعلى وغشيهم سلطان الجلال وانمحقوا وتلاشوا فى ذاتهم
ولم يبق لهم لحاظ الى أنفسهم لفنائهم عن أنفسهم ولم يبق إلا

الواحد الحق وصار معنى قوله (كل شيء هالك إلا وجهه) لهم
ذوقا وحالا وقد أشرنا الى ذلك في الفصل الاول وذكرنا انهم كيف
أطلقوا الاتحاد وكيف ظنوه فهذه نهاية الواصلين ومنهم من لم يتدرج
في الترقى والعروج عن التفصيل الذى ذكرناه ولم يطل عليه العروج
فسبقوا من أول وهلة الى معرفة القدس وتنزيه الربوبية عن كل
ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم أولا ماغلب على الآخرين آخراً
وهجم عليهم التجلى دفعة فأحرقت سبحات وجهه جميع ما يمكن أن
يدركه بصر حسى أو بصيرة عقلية ويشبه أن يكون الاول طريق
الخليل والثانى طريق الحبيب صلوات الله وسلامه عليهما والله أعلم
بأسرار أقدامهما وأنوار مقامهما .. فهذه إشارة الى أصناف المحجوبين
ولا يبعد أن يبلغ عددهم اذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين
سبعين ألفا ولكن اذا فتشت لاتجد واحداً منهم خارجاً عن الاقسام
التى ذكرناها فانهم إما يحتجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو
بالخيال وبمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق فهذا ماحضرنى
في جواب هذه الاسئلة مع ان السؤال صادفني والفكر منقسم
والخاطر متشعب والهم الى غير هذا الفن منصرف ومقترحى عليه
أن تسأل لي العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم فان خوض
غمرة الاسرار الالهية خطير واستكشاف الانوار العلوية من وراء
الحجب غير يسير والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا
محمد وآله الطيبين الطاهرين ﴿ تمت الرسالة ﴾

﴿ الرسالة السادسة ﴾

رسالة الطير

﴿ للامام الهمام حجة الاسلام ﴾

أبى حامد محمد بن محمد الغزالى

﴿ قدس الله سره العزيز ﴾

﴿ طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة ﴾

محيى الدين صبرى الكردى

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمعت أصناف الطيور على اختلاف أنواعها وتباين طباعها وزعمت أنه لابد لها من ملك واتفقوا أنه لا يصلح لهذا الشأن الا العنقاء وقد وجدوا الخبر عن استيطانها في مواطن الغرب وتقررها فى بعض الجزائر فجمعتهم داعية الشوق وهمة الطلب فصمموا العزم على النهوض اليها والاستظلال بظلها والمثول بفنائها والاستسعاد بخدمتها فتناشدوا وقالوا ٭

قوموا إلى الدار من ليلى نحييها ٭ نعم ونسألهم عن بعض أهليها

وإذا الاشواق الكامنة قد برزت من كمين القلوب وزعمت بلسان الطلب ٭

بأي نواحي الارض أبغي وصالكم ٭ وأنتم ملوك ما لمقصدكم نحو

واذا هم بمنادي الغيب ينادى من وراء الحجب (ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة) لازموا اماكنكم ولاتفارقوا مساكنكم فانكم ان فارقتم أوطانكم ضاعفتم أشجانكم فدونكم والتعرض للبلاء والتحلل بالفناء ٭

ان السلامة من سعدى وجارتها ٭ أن لا تحل على حال بواديها

فلما سمعوا نداء التعذر من جناب الجبروت ما ازدادوا إلا شوقاً وقلقاً وتحيراً وأرقاً وقالوا من عند آخرهم ٭

ولو داواك كل طبيب أنس ٭ بغير كلام ليلى ما شفاكا

﴿ وزعموا ﴾

ان المحب الذى لا شيء يقنعه ٭ أو يستقر ومن يهوى به الدار

ثم نادى لهم الحنين ودب فيهم الجنون فلم يتلعثموا في الطلب اهتزازاً منهم الى بلوغ الارب فقيل لهم بين أيديكم المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة وأماكن القر ومساكن الحر فيوشك ان تعجزوا دون بلوغ الامنية فتخترمكم المنية فالاحرى بكم مساكنة أوكار الاوطار قبل أن يستدرجكم الطمع واذا هم لا يصغون الى هذا القول ٭ ولا يبالون ٭ بل رحلوا وهم يقولون ٭

فريد عن الخلان في كل بلدة ٭ اذا عظم المطلوب قل المساعد

فامتطى كل منهم مطية الهمة قد ألجمها بلجام الشوق وقومها بقوام العشق وهو يقول ٭

انظر الى ناقتي في ساحة الوادي ٭ شديدة بالسرى من تحت مياد
اذا اشتكت من كلال البين أوعدها
روح القدوم فتحيا عند ميعادى
لها بوجهك نور تستضيء به ٭ وفى نوالك من أعقابها حادى

فرحلوا من محجة الاختيار فاستدرجتهم يد الأضطرار فهلك

من كان من بلاد الحر في بلاد البرد ومات من كان من بلاد البرد
في بلاد الحر وتصرفت فيهم الصواعق وتحكمت عليهم العواصف
حتى خلصت منهم شرذمة قليلة الى جزيره الملك ونزلوا بفنائه
واستظلوا بجنابه والتمسوا من يخبر عنهم الملك وهو في أمنع حصن
من حمى عزه فاخبر بهم فتقدم الى بعض سكان الحضرة أن يسألهم
ما الذى حملهم على الحضور فقالوا حضرنا ليكون مليكنا فقيل لهم
أتعبتم أنفسكم فنحن الملك شئتم أو أبيتم جئتم أو ذهبتم لا حاجة
بنا اليكم * فلما أحسوا بالاستغناء والتعذر أيسوا وخجلوا وخابت
ظنونهم فتعطلوا فلما شملتهم الحيرة وبهرتهم العزة قالوا لا سبيل
الى الرجوع فقد تخاذلت القوى وأضعفنا الجوى فليتنا تركنا في
هذه الجزيرة نموت عن آخرنا وأنشأوا يقولون هذه الابيات *

اسكان رامة هل من قرى * فقد دفع الليل ضيفا قنوعا
كفاه من الزاد ان تمهدوا * له نظراً وكلاما وسيعا

هذا وقد شملهم الداء وأشرفوا على الفناء ولجأوا الى الدعاء *

نمل نشاوى بكاس الغرام * فكل غدا لاخيه رضيعا

فلما عمهم اليأس وضاقت بهم الانفاس تداركتهم أنفاس
الايناس وقيل لهم هيهات فلا سبيل الى الياس ﴿ فلا ييأس من
روح الله الا القوم الخاسرون ﴾ فان كان كمال الغنى يوجب التعزز
والرد فجمال الكرم اوجب السماحة والقبول فبعد ان عرفتم مقداركم
فى العجز عن معرفة قدرنا فحقيق بنا ايواؤكم فهو دار الكرم ومنزل

النعم فانه يطلب المساكين الذين رحلوا عن مساكنة الحسبان
ولولاه لما قال سيد الكل وسابقهم (احيني مسكينا) ومن استشعر عدم
استحقاقه لحقيق بالملك العنقاء ان يتخذه قريناً فلما استأنسوا بعد
ان استيأسوا وانتعشوا بعد أن تعسوا ووثقوا بفيض الكرم
واطمأنوا الى درور النعم سألوا عن رفقائهم فقالوا ما الخبر عن
أقوام قطعت بهم المهامه والاودية * أمطلول دماؤهم أم لهم دية
فقيل هيهات هيهات (ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله
ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) اجتبتهم أيادى الاجتباء
بعد ان ابادتهم سطوة الابتلاء (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله
أموات بل أحياء) قالوا فالذين غرقوا في لجج البحار ولم يصلوا
الى الدار ولا الى الديار بل التقمتهم لهوات التيار قيل هيهات (ولا
تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) فالذى جاء بكم وأماتهم
أحياهم والذى وكل بكم داعية الشوق حتى استقللتم العناء والهلاك
فى أريحية الطلب دعاهم وحملهم وادناهم وقربهم فهم حجب العزة
وأستار القدرة (في مقعد صدق عند مليك مقتدر) قالوا فهل لنا
الى مشاهدتهم سبيل * قيل لا فانكم في حجاب العزة وأستار
البشرية وأسر الاجل وقيده فاذا قضيتم أوطاركم وفارقتم أوكاركم
فعند ذلك تزاورتم وتلاقيتم قالوا والذين قعد بهم اللؤم والعجز فلم
يخرجوا قيل هيهات (ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن
كره الله انبعاثهم فثبطهم) ولو أردناهم لدعوناهم لكن كرهناهم

فطردناهم أنتم بانفسكم جئتم أم نحن دعونا كم أنتم اشتقتم أم نحن
شوقنا كم نحن أقلقنا كم فحملنا كم وحملناهم في البر والبحر : فلما
سمعوا ذلك واستأنسوا بكمال العناية وضمان الكفاية كمل
اهتزازهم وتم وثوقهم فاطمأنوا وسكنوا واستقبلوا حقائق اليقين
بدقائق التمكين * وفارقوا بدوام الطمأنينة امكان التلوين ولتعلمن
نبأه بعد حين *

فصل

أترى هل كان بين الراجع الى تلك الجزيرة وبين المبتدىء
من فرق انما قال جئنا ملكنا من كان مبتدئا * أما من كان راجعا
الى عيشه الاصلي (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي) فرجع اسماع
النداء. كيف يقال له لم جئت فيقول لم دعيت لا بل فيقول لم حملت
الى تلك البلاد وهي بلاد القربه * والجواب على قدر السؤال والسؤال
على قدر التفقه والهموم بقدر الهمم *

فصل

من يرتاع لمثل هذه النكت فليجدد العهد بطور الطيرية
وأريحية الروحانية * فكلام الطيور لا يفهمه الا من هو من الطيور
وتجديد العهد بملازمة الوضوء ومراقبة أوقات الصلاة وخلوة ساعة
للذكر فهو تجديد العهد الحلو في غفلة لا بد من أحد الطريقين

فاذكروني أذكركم (أو نسوا الله فنسيهم فمن سلك سبيل الذكر
أنا جليس من ذكرني ومن سلك سبيل النسيان) (ومن يعش عن
ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) وابن آدم في كل نفس
مصحح احد هاتين النسبتين ولا بد يتلوه يوم القيامة أحد السيماءين
أما يعرف المجرمون بسيماهم أو الصالحون بسيماهم في وجوههم من أثر
السجود * انقذك الله بالتوفيق وهداك الى التحقيق وطوى
لك الطريق انه بذلك حقيق * والحمد
لله رب العالمين * وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى آله اجمعين
آمين

تمت الرسالة وتليها الرسالة الوعظية

الرسالة السابعة

الرسالة الوعظية

للامام الهمام حجة الاسلام

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

وهي رسالته إلى أبي الفتح أحمد بن سلامة الدمي

(عليهما الرحمة)

طبعت على نفقة البحاثة المنقب عن الأسفار النفيسة

محيي الدين صبري الكردي

بسم الله الرحمن الرحيم

نقد بلغني عن لسان من أثق به من سيرة الشيخ الامام الزاهد حرس الله توفيقه وسمره في مهم دينه ما قوى رغبتي في مؤاخاته في الله تعالى رجاء لما وعد الله به عباده المتحابين وهذه الاخوة لا تستدعى مشاهدة الاشخاص وقرب الابدان وانما تستدعى قرب القلوب وتعارف الارواح وهي جنود مجندة فاذا تعارفت ائتلفت . وها أنا عاقد معه عقد الاخوة في الله تعالى ومقترح عليه أن لا يخليني عن دعوات في أوقات خلوته وأن يسأل الله تعالى أن يريني الحق حقاً ويرزقني اتباعه وأن يريني الباطل باطلا ويرزقني اجتنابه . ثم قرع سمعي أنه التمس مني كلاماً في معرض النصح والوعظ وقولا وجيزاً فيما يجب على المكلف اعتقاده من قواعد العقائد

أما الوعظ فلست أرى نفسي أهلا له لان الوعظ زكاة نصاب الاتعاظ ومن لا نصاب له كيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره و(متى يستقيم الظل والعود أعوج) وقد أوحى الله تعالى الى عيسى بن مريم عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي

مني وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطق وصامت
فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ
ومن لا يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ولقد وعظت بهما نفسي فصدقت
وقبلت قولا وعقلا وأبت وتمردت تحقيقا وفعلا فقلت لنفسي أما أنت
مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه الناصح الصادق فانه كلام الله
المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . فقالت
نعم فقلت قال الله تعالى (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف
اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في
الآخرة الا النار وحبط ماصنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) فقد
وعدك الله تعالى بالنار على ارادة الدنيا وكل من لا يصحبك
بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن ارادة الدنيا أو حبها ولو أن
طبيبا نصرانيا وعدك بالموت أو المرض على تناولك ألذ الشهوات
لتحاشيتها واتقيتها أكان النصراني عندك أصدق من الله تعالى فان كان
ذلك فما أكفرك أو كان المرض أشد عندك من النار فان كان كذلك
فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصررت على الميل إلى العاجلة
واستمررت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ الصامت فقلت قد اخبر
الناطق عن الصامت اذ قال تعالى (ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم
ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (وقلت لها هي
انك ملت إلى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة آتيك
وقاطع عليك كل ما أنت متمسكة به وسالب منك كل ما أنت

راغبة فيه وكل ما هو آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال الله تعالى
(أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ماكانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما
كانوا يمتعون) أفأنت مخرجة هذا عن جميع ما أنت فيه والحر الحكيم
يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها واللائم يتمسك بها الى أن يخرج
من الدنيا خائبا خاسراً متحسراً فقالت صدقت فكان ذلك
منها قولا لا تحصيل وراءه إذ لم تجتهد قط في التزود للآخرة
كاجتهادها فى تدبير العاجل ولم تجتهد قط في رضاء الله تعالى كاجتهادها
فى رضاها بل كاجتهادها طلب الخلق ولم تستحي قط من الله تعالى كما
تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر للاستعداد للآخرة
كتشميرها في الصيف فانها لا تطمئن فى أوائل الشتاء ما لم تفرغ من
جميع ما تحتاج اليه فيه من آلاته مع أن الموت ربما يختطفها والشتاء لا يدركها
والآخرة على يقين لا يتصور أن يختطف منها . وقلت لها ألا تستعدين
للصيف بقدر طوله وتصنعين آلة الصيف بقدر صبرك على الحر .
قالت نعم. قلت فاعصي الله بقدر صبرك على النار واستعدي للآخرة
بقدر بقائك فيها . فقالت هذا هو الواجب الذى لا يرخص في
تركه إلا الأحمق ثم استمرت على سجيتها فوجدتني كما قال بعض
الحكماء إن في الناس من يموت نصفه ولا ينزجر نصفه الآخر وما أراني الا
منهم ولما رأيتها متمادية في الطغيان غير منتفعة بوعظ الموت والقرآن رأيت
أهم الامور التفتيش عن سبب تماديها مع اعترافها وتصديقها فان ذلك
من العجائب العظيمة فطال عليه تفتيشي حتى وقفت على سببه وها

أنا مؤنس وإياه بالحذر منه فهو الداء العضال وهو السبب الداعى
الى الغرور والاهمال وهو اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه
على القرب فانه لو أخبره صادق في بياض نهاره أنه يموت في ليلته
أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الطريق المستقيم
ولترك جميع ما هو فيه مما يظن أنه مما يتعاطاه لله تعالى وهو مغرور
فيه فضلا عما يعلم أنه ليس لله تعالى فانكشف تحقيقا ان من أصبح
وهو يأمل أن يمسى أو أمسى وهو يأمل ان يصبح لم يخل من الفتور
والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف فاوصيه ونفسى بما أوصى
به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث «قال صل صلاة مودع» ولقد
أوتى جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينتفع بوعظ إلا به فمن
غلب على قلبه في كل صلاة أنها آخر صلاته حضر معه قلبه في الصلاة
وتيسر له الاستعداد بعد الصلاة ومن عجز عن ذلك فلا يزال في
غفلة دائمة وغرور مستمر وتسويف متتابع الى أن يدركه الموت
فتدركه حسرة الفوت وانا مقترح عليه أن يسأل الله تعالى ان
يرزقنى هذه الرتبة فانى طالب لها وقاصر عنها وأوصيه أن لا يرضى
من نفسه إلا بها وأن يحذر من مواقع الغرور فاذا وعدت النفس
بذلك طالبها بموثق غليظ من الله تعالى فان خداع النفس لا يقف
عليه إلا الأكياس

وأما أقل ما يجب اعتقاده على المكلف فهو ما يترجمه قوله
لا إله إلا الله محمد رسول الله ثم اذا صدق الرسول فينبغى أن يصدقه

في صفات الله تعالى فانه حي قادر عالم متكلم مريد ليس كمثله شيء
وهو السميع البصير وليس عليه بحث عن حقيقة هذه الصفات وان
الكلام والعلم وغيرهما قديم أو حادث بل لو لم تخطر له هذه المسئلة
حتى مات مات مؤمنا وليس عليه تعلم الادلة التى حررها المتكلمون
بل كلما حصل في قلبه التصديق بالحق بمجرد الايمان من غير دليل
وبرهان فهو مؤمن ولم يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر
من ذلك وعلى هذا الاعتقاد المجمل استمرت الاعراب وعوام
الخلق الا من وقع في بلدة يقرع سمعه فيها هذه المسائل كقدم
الكلام وحدوثه ومعنى الاستواء والنزول وغيره فان لم يأخذ ذلك
قلبه وبقى مشغولا بعبادته وعمله فلا حرج عليه وان أخذ ذلك بقلبه
فأقل الواجبات عليه ما اعتقده السلف فيعتقد في القرآن القدم كما
قال السلف القرآن كلام الله غير مخلوق ويعتقد ان الاستواء حق
والسؤال عنه مع الاستغناء بدعة والكيفية فيه مجهولة فيؤمن بجميع
ما جاء به الشرع إيمانا مجملا من غير بحث عن الحقيقة والكيفية فان
لم ينفعه ذلك وغلب على قلبه الاشكال والشك فان أمكن إزالة
شكه واشكاله بكلام قريب من الافهام وان لم يكن قويا عند
المتكلمين ولا مرضيا عندهم فذلك كاف ولا حاجة به الى تحقيق
الدليل بل الاولى ان يزال اشكاله من غير برهان حقيقة الدليل
فان الدليل لا يتم الا بدرك السؤال والجواب عنه ومهما ذكرت
الشبهة فلا يبعد ان ينكر بقلبه ويكل فهمه عن درك جوابه إذ الشبهة

قد تكون جلية والجواب دقيقا لا يحتمله عقله ولهذا زجر السلف عن البحث والتفتيش عن الكلام وانما زجروا عنه لضعفاء العوام

وأما المشتغلون بدرك الحقائق فلهم خوض غمرة الاشكال ومنع الكلام للعوام يجرى مجرى منع الصبيان من شاطئ نهر الدجلة خوفا من الغرق ورخصة الاقوياء فيه تضاهي رخصة الماهر في صنعة السباحة الا ان ههنا موضع غرور ومزلة قدم وهو ان كل ضعيف في عقله راض من الله تعالى في كال عقله يظن بنفسه انه يقدر على إدراك الحقائق كلها وانه من جملة الاقوياء فربما يخوضون فيغرقون في بحر الجهالات حيث لا يشعرون فالصواب للخلق كلهم الا الشاذ النادر الذى لا تسمح الاعصار الا بواحد منهم أو اثنين سلوك مسلك السلف في الايمان بالرسل والتصديق المجمل بكل ما نزله الله تعالى وأخبر به رسوله من غير بحث وتفتيش عن الادلة بل الاشتغال بالتقوى عليه شغل شاغل إذ قال صلى الله عليه وسلم حيث رأى أصحابه يخوضون بعد ان غضب حتى احمرت وجنتاه أبهذا أمرتم تضربون كتاب الله بعضه ببعض انظروا ما أمركم الله به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهذا تنبيه على المنهج الحق واستيفاء ذلك شرحناه في كتاب (قواعد العقائد) فيطلب منه والسلام

تمت الرسالة بعون الله ومنه وبتمامها انتهت الرسائل

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

